المكتبة القبطية على الانترنت

http://copticlibrary.110mb.com

رسالة عيد النيروز

القيَم الروحيّة

لعيد النيروز

القس قادرس يعقوب ملطي

المفاهيم الروحية للاستشهاد

هل من حاجة لعيد النيروز ؟

لقد انقضى الوقت الذى فيه كان يكال لكل من ينتسب لربنا يسوع أنواع العذابات ، من مصادرة أموال وتعذيب لأولاده وبتر لأعضائه أو حرق لجسده ... فما حاجتنا اليوم للحديث عن الشهداء والاستشهاد ، وما الحاجة لاقامة عيد خاص بالشهداء ؟!

لست أريد الدخول فى جدل عقائدى ، ولا تسجيل قصص بطولية أو تاريخ حافل لسير المؤمنين المجاهدين ... لكننى أردت فى هذا الكتيب أن أؤكد أن ***الاستشهاد اختبار تقوى يومى يحيا فيه المؤمن، ولو لم يكن له مضطهدون او أعداء من البشر ، ولو كان قاطناً فى دير لاخلطة له بعلمانيين ، بل ولو كان راهباً متوحداً او سائحاً لا يلتقى بوجه انسان*** ... هذا ما هدفت اليه الكنيسة باقامة عيد النيروز .

فالاستشهاد إرتبط فى أذهان الكثيرين بمجرد سفك الدم أو مصادرة الأموال أو إثارة الاضطهاد بصورة أو أخرى ..والآن ليعطنا الرب فهماً لندرك مفهوم الاستشهاد من واقع معركة الصليب ذاتها .

ربنا يسوع قائد الشهداء وربهم ، كشف لنا عن أعماق مفهوم الاستشهاد الحقيقى فى معركة الصليب فقد وقف اليهود الأشرار يطلبون قتله ، وفعلاً صلب ، بعدها حكموا على أنفسهم بأنفسهم « دمه علينا وعلى أولادنا » .

هذه هى معركة الصليب ، التى لن يجرؤ أحد أن يبرئ اليهود الأشرار منها ، هذه المعركة حملت فى طياتها حرباً خفية بين الله والشيطان، بين الحب الإلهى والحسد الشيطانى. فيها انتصر الحب الإلهى وانكسر سلطان ابليس وهوت قوة الخطية .

فالاستشهاد صورة لمعركة الصليب ، يستمد كيانه منه . هو معركة طرفاها الله وعدو الخير، تتم ولو لم يوجد مضطهدون أو أعداء من الخارج ... لأنها حرب غير بشرية ، توجد أينما وجد الانسان ولو لم يلتق بأحد قط ، توجد فى داخل الانسان نفسه .

إذاً فالاستشهاد هو نصرة على مقاومة الشيطان لعمل الله فينا كأولاد له وهذا ما يؤكده الرسول بولس قائلاً « أخيراً يا أخوتى تقووا فى الرب وفى شدة قوته . إلبسوا سلاح الله الكامل لكى تقدروا أن تثبتوا ضد مكايد ابليس . فإن

مصارعتنا ليست مع لحم ودم بل ... مع أجناد الشر الروحية فى السماويات » أف ٦ : ١٠ -١٢ .

إذاً فلنجاهد ضد الشيطان سامعين لصوت الرب « كن أميناً إلى الموت فسأعطيك إكليل الحياة » رؤ ٢ : ١٠ .

الاستشهاد حب

قلنا أن الاستشهاد وإن كان قد إرتبط فى أذهان الكثيرين بسفك الدم أو احتمال العذابات إلى الموت ، لكن كيانه لا يستمد من المظهر... فالصليب قوته تبرز فى الحب الإلهى «هكذا أحب الله العالم حتى بذل...» وهكذا الاستشهاد يتركز فيما يكنه قلب الشهيد من حب منسكب فيه بالروح القدس ... حب للسيد المسيح ، وحب للبشر حتى مضطهديه من أجل ربنا يسوع الذى قدم ذاته لأجلهم .

فبقدر ما يتسع قلب الشهيد يلمع نجمه ويعظم إكليله .

أريد أن أردد مع الرسول بولس بأن كثيرين سفكت دمائهم وليس لهم نصيب مع الشهداء ولا حتى أى نصيب فى الحياة الأبدية : « وإن سلمت جسدى حتى احترق ولكن ليس لى محبة فلا أنتفع شيئاً» ١ كو ١٣ : ٣ . وكثيرين لم تسفك دمائهم يشاركون الشهداء أكاليلهم.

لست بذلك أقلل من شأن احتمال الشهداء للآلام ...لكننى

أود أن أوكد أن هناك قوة جبارة دفعتهم لقبول الآلام هى «الحب» هذا الذى جعلهم يتقدموا الصفوف بين القديسين .

لكننى أود أن أقول ، أن هناك من كانت قلوبهم تلتهب حباً نحو الرب مثل الشهداء ، ولم تتح لهم فرصة لسفك دمائهم . مثال ذلك ما سجله لنا التاريخ عن عصر مزدهر بالرهبان تلى عصر الاستشهاد مباشرة ، يوم لم تجد القلوب المحبة فرصة لسفك دمائهم فاشتاقوا إلى الموت الاختيارى لأجل الرب ، فخرجوا جماعات جماعات ، بلغوا عشرات الألوف يطلبون العشق الإلهى .

لهذا كان القديس مقاريوس الكبير يقول لزائريه تعالوا نزور مكان *شهادة* الغرباء أى مكسيموس ودوماديوس .حقاً لقد وثبا إلى مرتبة الشهداء لأنهما وهما شابان وليا العهد ، تركا الملك الأرضى وعاشا فى أحضان النعمة أمواتاً عن العالم.

وابراهيم أب الآباء ، لم يذبح اسحق إبنه الوحيد الحبيب ، لكنه إذ أحب الرب إلى الدرجة التى قبل فيها أن يذبح ابنه محرقة له ، وبدأ فى التنفيذ ، صار ابراهيم مقدماً له لأجل نيته الجدية العاملة . .

وبولس الرسول عرف كيف يستشهد كل يوم قائلاً : « من

سيفصلنا عن محبة المسيح ... من أجلك نمات كل النهار ،قد حسبنا مثل غنم للذبح » رو ٨ : ٣٥ ، ٣٦

فالاستشهاد فى جوهره حب عميق متدفق فى داخل القلب ، لأجله نبحث ونطلب باشتياق آلام وأتعاب من الخارج أو الداخل . فإن كان وقت الاستشهاد قد مضى لكن ما أكثر الصلبان التى يمكن للمؤمن أن يحملها :أسهار،أصوام ،أتعاب، تحمل تجارب ... بلا تذمر ، بل فى رضى وشكر وفرح ...

* * *

❖ « اذبحوا ذبائح البر » مز٤ : ٥ ، «اذبحوا لله حمداً» مز ٥٠ : ١٤ .

هناك أيضاً تقدمات ... هى تقديم الشهداء أرواحهم وأجسادهم كرائحة طيب ذكية ، وأنت أيضاً تقدر أن تقدم تقدمة كهذه ، لأنه وإن كان لم تتح لك فرصة لتقديم جسدك حتى يحترق بالنار ، فهناك نار أخرى يمكنك أن تتقدم اليها ، مثل ***الفقر الاختيارى*** . فإن اختار الانسان ذلك فى أيام ترفه ونعيمه ، محتملاً المتاعب والمشقات ، مميتاً جسده ، أما يحسب هذا محرقة ؟!

ليست جسدك وليصلب ، فتنال اكليل الاستشهاد أيضاً .

ولتدع ذهنك يقوم بما ينجزه سيف المضطهد بالنسبة للشهيد ، ولا تدع محبة الاغتناء تحرقك أو تستعبدك ، بل احرق هذه الشهوة الشريرة بنار الروح القدس ، مزقها إرباً ، فهذه تقدمة سامية لا تحتاج إلى كاهن يقدمها .

❖ قد يقول قائل : انه ليس وقت الاستشهاد ، فماذا أفعل؟ ..

هل تظن أن الصلب على خشبة فقط هو الذى يوجد الشهيد ، فلو كان الأمر هكذا لحرم أيوب من أكليله ، لأنه لم يقف أمام محاكمة ولا مضطهد ولا علق على شجرة ... لكنه تألم أكثر من شهداء كثيرين .

لقد قاسى آلاماً من كل جانب ... من جهة ممتلكاته وأولاده وشخصه وبواسطة زوجته وأصدقائه وأعدائه ، حتى خدامه إستهزؤا به؛ تحمل الجوع والهزء والآلام والمضايقات. لأجل هذا أقول أن أيوب شهيد . هذا وهو لا يماثل شهيد أو اثنين أو ثلاثة بل ألف شهيد ، خاصة وأن العصر الذى عاش فيه يكرمه بالأكثر لأنه لم يعاصر الناموس ولا عهد النعمة...

القديس يوحنا ذهبى الفم

❖ هل تظن أن تقطيع الأعضاء والحرق وحدهما هما إستشهاد ؟! بل تعب النسك واحتمال الآلام التى من الشيطان والامراض ، ***من يحتملها بشكر*** فذلك هو الشهيد . وإلا

فما حاجة الرسول أن يكتب « من أجلك نمات كل النهار » فإن لم يكن يموت فى الظاهر ، فإنه يحتمل ما يأتى عليه بصبر...

القديس باخوميوس

❖ ربما يعترض أحدهم قائلاً : مما يحزننى ... اننى قد تهيأت للإعتراف ، وكرست حياتى لإحتمال الآلام بكل قلبى بشجاعة لكننى حرمت من الاستشهاد ...

الله فاحص الكلى والقلوب ، العارف بخفايا الأمور ، يراك ويكرمك ويزكيك ، وإذ يرى ثبات فضائلك يكافئك عنها ...

فالله الديان يتوج خدامه الذين ***اعدت افكارهم (حياتهم) للاعتراف والاستشهاد ... فهو لا يرغب فى دمنا بل يطلب ايماننا*** فليس ابراهيم ولا اسحق ولا يعقوب استشهد أحد منهم ، ومع ذلك لهم كرامة إذ استحقوا أن يكونوا الأوائل بين البطاركة ...

الشهيد كبريانوس

❖ فى سفر الرؤيا يقول «ورأيت نفوس الذين قتلوا من أجل شهادة يسوع ومن أجل كلمة الله» وإذ ذكر هؤلاء الذين استشهدوا أضاف قائلاً «والذين لم يسجدوا للوحش ولا لصورته ولم يقبلوا السمة على جباههم وعلى أيديهم» ، هؤلاء جميعاً قد جمعهم معاً ، إذ رآهم فى نفس اللحظة وفى نفس

الموضع، ويقول «فعاشوا وملكوا مع المسيح » رؤ ٢٠:٤. ٥ .

يقول عنهم أنهم عاشوا وملكوا مع المسيح ، ***ليس فقط الذين استشهدوا ، بل والذين ثبتوا على الايمان في خوف الله*** ولم يعبدوا صورة الوحش ولم يقبلوا سماته المميته النجسة .

❖(تشجيعه لشعبه فى قرطاجنة عندما انتابتهم موجة اضطهاد فى القرن الثالث الميلادى) .

يالك من كنيسة مطوبة ، تلك التى تشرفت بنور العناية الإلهية فى أيامنا هذه حيث صار دم الشهداء ممجداً !!

لقد كانت بيضاء قبل استشهاد هؤلاء ، والآن قد صارت قرمزية بدم الشهداء . انه لم يعد ينقصها زهور بيضاء ولا زنابق حمراء .

إذاً فليجاهد كل عضو فيها جهاد عظيم لأجل المجد . ***فينالون أكاليلاً بيضاء بجهادهم (فى غير زمن الاستشهاد) او قرمزية باحتمالهم العذابات .*** فسيكون فى السماء لكل منهم زهوره التى يتمجد بها جنود يسوع .

الشهيد كبريانوس

* * *

على جناح الهيكل ، فى أقدس مكان على الأرض ، وقف الشيطان يحارب الرب ... وهو لا يزال يحارب أولاد الله حتى قبيل استشهادهم . كأن يبث فيهم روح الكبرياء ، فيقبلون على الاستشهاد من أجل حب الظهور وليس حباً فى الرب ، أو يبث فيهم روح البغضة لمضطهديهم فيحرمهم من بركات الاستشهاد .

وقد جاء أخ راهب متوحد إلى القديس باخوميوس كاشفاً له شهوته للاستشهاد بعد انقضاء وقت الاستشهاد ، فعلم القديس بأن الأخ يطلب ذلك شهوة وحباً للظهور ... فطلب اليه الا يذهب إلى الدير بمفرده ، لكنه لم يقتنع . فالتقى به البربر . فلما رأوه طلبوا منه أن يقدم ذبيحة لآلهتهم وإلا قتلوه بالسيوف فخاف وجحد ربه .

* * *

❖ قد يعترف الانسان باسم المسيح حتى سفك الدم أو الالقاء فى النار ، ولكن قد يحدث هذا بسبب حب المجد الباطل ، فيصير استشهاده باطل .

انه حتى الهراطقة ، منهم من احتمل بعض المتاعب والآلام بسبب شرورهم وانحرافهم ، فتكبروا تحت لواء الاستشهاد . وهم

فى ذلك يكونون قد اختفوا تحت ثوب خفيف لكى ينهبوا بسهولة ، لأنهم ذئاب .

❖ إن كان أحد ليس فيه محبة تؤدى إلى الروح الواحد ورباط السلام فى الكنيسة الجامعة ، بل يساعد على الانقسام ... فإنه يقول عنه الرسول « ان سلمت جسدى حتى احترق وليس لى محبة فلا انتفع شيئاً » ١ كو ١٣ : ٣ .

لنصرخ بروح المحبة ، حتى نأتى إلى الميراث الأبدى ، محتملين الآلام والعذابات بصبر ، ليس بخوف العبيد بل بحب كما يليق بأبناء أحرار

القديس اغسطينوس

استعذاب الألم .. !!

سعى وراء الالم

بهر الشهداء العالم ، لا فى قبولهم الآلام واحتمالهم أمر العذابات ، بل بفرحهم بها وشكرهم لله عليها ، وسعيهم وراءها ، كعطية لا يستحقونها ، يريد الكل أن يتمتع بأقصى قدر ممكن منها . ويكفى أن يشهد المؤرخون الوثنيون كيف تحولت السجون إلى كنائس تسمع فيها صوت التهليل والألحان الروحية ... وكيف أن كثيرات من الأمهات كن يرفضن الاستشهاد اللهم إلا بعد الاطمئنان على استشهاد ابنائهن أمام أعينهن خوفاً عليهم من أن يبقوا بين الوثنيين فيفقدوا الحياة مع الله . وكثيرون ارسلوا يشجعون اقرباءهم فى السجون ويحسدونهم على نعمة الاستشهاد محذرين إياهم من الانكار ، والا هم رفضوهم ايضاً ...

ان الآف بل ملايين من الأنفس قبلت الألم بفرح بلا تذمر ، يصعب حصرهم ... فليعطنا الرب فهماً حتى ندرك لماذا استعذب هؤلاء الألم ؟!

اولاً : شركة آلام يسوع

جسد مصلوب قائم

اغسطينوس فى شرحه للمزمور الثالث ، مزمور آلام الرب وقيامته « لماذا كثر الذين يحزنونني ، كثيرون قاموا عليّ... أنا اضجعت ونمت ثم استيقظت ... أسنان الخطاة سحقتها... » يؤكد اتمام هذه الكلمات بالنسبة لشخص الرب يسوع الذى قامت البشرية تحمله خطاياها ، ووقف اليهود الأشرار يطلبون صلبه والرومان ينفذون اشتياقات قلبهم الشرير . وبإرادته (أنا) قبل أن يضطجع وينام فى القبر ثم قام كاسراً سلطان الخطية « أسنان الخطاة » .

عاد اغسطينوس يقول « يمكن أن يفهم حديث المزمور هنا أنه يخص السيد المسيح بطريقة أخرى ... أقصد أن المتكلم هنا هو السيد المسيح كرأس يتحد به جسده ... الذى يقول عنه الرسول « وأما أنتم فجسد المسيح وأعضاؤه » ١كو١:٢٧ فالمتحدث هنا هو المسيح المتحد به الكنيسة .

فالكنيسة كجسد ليسوع المتألم ، يلزمها قبول سمات المسيح المصلوب حتى تكون لها شركة الحب الحقيقى والوحدة التى بين العريس المتألم وعروسه . فالألم بالنسبة للعروس أمر لازم وضرورى ... وإلا بحثت عن عريس آخر غير مصلوب .

و « ولكن نحن نكرز بالمسيح مصلوباً» ١كو ١٣:١ . بل ويؤكد الرسول «لأنى لم أعرف شيئاً بينكم إلا يسوع المسيح وإياه مصلوباً» ١ كو ٢:٢ « أيها الغلاطيون ... أنتم الذين أمام عيونكم قد رسم يسوع المسيح بينكم مصلوباً » غل٣:١.

فالعروس يلزمها أن تكمل نقائص شدائد المسيح (كو ١:٢٤) لكن ، كيف تكمل شدائد المسيح وهو القائل على الصليب « قد اكمل » ؟ !

شركة فى آلام الحب

المسيح على الصليب ، قبيل تنكيس رأسه وتسليمه الروح فى يدى الآب ، أعلن إكمال الآلام ، مقدماً الثمن بالكامل، محتملاً الآلام حتى موت الصليب . لكنه لم يبطل تيار الآلام ، وإلا ما كان لجسده السرى أن يشاركه الألم . لكن أى ألم تشاركه فيه الكنيسة ؟

فقبل اتمام الفداء ، كان الألم والموت مرتبطين بالخطية كأثرين من آثارها ، منهما نشتم انحجاب الانسان وحرمانه من الله مصدر حياته ، وخضوعه بارادته لآلام متعسفة ليس لها قانون ، فقبل يسوع كأس هذه الآلام التى قانونها الظلم والاستبداد ، قبلها « بصراخ شديد ودموع» عب٥:٧ . وبذلك دان الخطية بالجسد ، شارباً كأس أجرتها إلى النهاية ، قائلاً « قد أكمل » ...

أما على الصليب فإذ قبل الآلام عن حب من أجل من تألم عنهم ، وليس عن خطية ارتكبها ، قدم مفهوماً جديداً للألم... هى آلام الحب والتضحية، جاعلاً منها باباً لشركة جسده السرى (الكنيسة) بالرأس المتألم وطريقاً للعبور إلى الأمجاد بالاتحاد مع المصلوب .

فصار الألم والموت شهوة يبحث عنهما الانسان ويشتهيهما ، لأنه أى شرف لنا أن يكون لنا شركة معه ؟! « لأعرفه وقوة قيامته وشركة آلامه » فى٣:١٠ .« لأننا إن كنا نتألم معه فسوف نتمجد معه » فى ٢٩:١ .

هكذا ، بالنسبة لأولاد الله المؤمنين ، زال إرتباط الألم بالخطية وبشاعتها وصار مرتبطاً بالحب الإلهى . وبذا صار عطية يقدمها الله لأحبائه (مز ١٠:٣٠) ويتسابق الأحباء على قبولها من يد الرب . حتى أن الذين فاتهم قطار الاستشهاد بحثوا عن صلبان داخلية يحملونها فى داخلهم لأجل الرب ، وهم فى هذا سعداء وفرحين .« إحسبوه كل فرح يا إخوتى حينما تقعون فى تجارب متنوعة » يع ٢:١ .

إذ ارتبطت الآلام بالرب يسوع ، حسبها التلاميذ شرفاً عظيماً لا يستحقونها (أع ٤١:٥) ، مدركين وحدتهم الروحية مع يسوع وفى ذلك كمال الفرح .

وبذا وضح مفهوم الألم ، باعتبارها مصدر فرح ليست بكونها آلام ولكن لأجل مشاركة الرب فيها .

❖ «لأنه كما تكثر آلام المسيح فينا ، كذلك بالمسيح تكثر تعزيتنا أيضاً » ٢ كو١:٥ . فلكى لا يستحوذ اليأس على نفوس التلاميذ قال « كذلك بالمسيح تكثر تعزيتنا أيضاً» إنه يسمو بنفوسنا ، حاسباً هذه الآلام خاصة به ، فأى فرح يشملنا أننا شركاء المسيح ، ومن أجله نتألم ؟! ...

يسوع تألم ، والشهداء تألموا (من جهة الكمية) أكثر[1]» ويقول الرسول بولس «الآن أفرح فى آلامى وأكمل نقائص شدائد المسيح فى جسمى لأجل جسده الذى هو الكنيسة » ، لأنهم أيضاً صنعوا معجزات أعظم(عددياً) حسب وعده « الحق الحق أقول لكم من يؤمن بى يعمل الأعمال التى أنا أعملها ويعمل أعظم منها » يو ١٢:١٤ . لكن هذه جميعها بنعمته العاملة فيهم . فهم يتألمون أكثر ، لأنه بالمسيح تكثر تعزيتهم ... فآلامهم وتعزياتهم ينسبها الرسول إلى المسيح .

❖ « ان كنا نصبر فسنملك أيضاً معه » ٢ تى ٢ : ١٢.

---

(١)هنا لا يماثل القديس بين آلام السيد وآلام الشهداء ، إلا من جهة العدد . لأن الأولى مستحقة كل كرامة وبدونها لا يزول غضب الاب ولاتقبل آلام الشهداء . كما أن احتماله كان بسلطانه ، أما هم فاحتمالهم بنعمته .

بالإيمان ندرك الميلاد الجديد والقيامة . لكن الإيمان يلزم ألا يكون نظرياً بل عملياً . فالذين يؤمنون بيسوع المقام حقاً ، يلزمهم أن يقدموا أنفسهم للآلام ... هؤلاء الذين لهم شركة آلام . والذين يشتركون فى آلامه يقومون معه أيضاً . فيقول الرسول « وأوجد فيه وليس لى برى الذى من الناموس بل الذى بإيمان المسيح البر الذى من الله بالايمان . لأعرفه وقوة قيامته وشركة آلامه متشبهاً بموته . لعلى أبلغ إلى قيامة الأموات » فى ٣:٩-١٢ .

يقول الرسول «متشبهاً بموته» ، أى يكون لنا شركة معه ، حتى كما تألم هو من الناس ، نحن نتألم أيضاً معه .. لذلك يليق بكم ألا تقلقكم هذه الآلام بل بالحرى تفرحكم « متشبهين بموته » .

وفى موضع آخر يقول « حاملين فى الجسد كل حين إماته الرب يسوع» ٢ كو٤: ١٠.وهذا أيضاً يحتاج إلى إيمان عظيم ، لا أن نؤمن أنه قام فقط بل وله قوة عظيمة بعد قيامته .

هكذا ينبغى علينا أن نسلك فى نفس الطريق ، حتى نشاركه أيضاً فى المجد والكرامة . وكأنه يقول : أننا إذ نصير مسيحيين فما أمجد الآلام !! إذ بها نتشبه بموته .

❖ صلوا ألا يوهب لى احسان أعظم من أن أقدم للّه ، مادام المذبح لا يزال معداً . ففى اجتماعكم معاً بمحبة غنوا للّه أغنية شكر للآب بالمسيح يسوع ...

جيد لى أن أرحل من العالم إلى اللّه لأقوم فى اللّه مرة أخرى ...

عليكم فقط أن تطلبوا لى قوة داخلية وخارجية حتى لا أكون متكلماً فقط بل وبالحقيقة عاملاً ، فلا أدعى مسيحياً بالكلام فقط ...

أننى أكتب إلى الكنائس (الأخرى) وأشدد عليها جميعها، بأننى سأموت إختياراً لأجل اللّه،ما لم تمنعونى أنتم من ذلك.

أطلب اليكم ألا تظهروا لى عطفاً فى غير أوانه ، بل إسمحوا لى أن أكون طعاماً للوحوش الضارية ، التى بواسطتها يوهب لى البلوغ إلى اللّه . إننى خبز اللّه . أتركونى أطحن بأنياب الوحوش لتصير قبراً لى ، ولا تترك شيئاً من جسدى ، حتى إذا ما مت لا أتعب أحداً . فعندما لا يعد العالم يرى جسدى أكون بالحقيقة تلميذاً للمسيح .

توسلوا إلى المسيح من أجلى حتى أعد بهذه الطريقة لأكون ذبيحة للّه .

الشهيد اغناطيوس الثيؤفوروس

(رسالته إلى روما)

❖(فى رسالة وجهها لمن يستعدون للاستشهاد)

لاتقدر الوعود أن تخدعكم عن ثباتكم غير الفاسد فى الايمان ، ولا يستطيع الوعيد أن يرهبكم ، ولا المضايقات أو العذابات يمكنها أن تتغلب عليكم.لأن « ***الذى فيكم (روح المسيح) أعظم من الذى فى العالم*** » ١يو٤:٤ .

فالعقوبات الأرضية تعجز عن أن تطرحكم ، طالما العناية الإلهية ترفعكم .

هذه الحقيقة ، أكدها جهاد الإخوة المجيد ، هؤلاء الذين صاروا قادة لغيرهم بغلبتهم على العذابات ، مقدمين مثالاً طيباً للإيمان والفضيلة ، مناضلين فى الجهاد حتى غلبوا .

❖ لقد انذهلت الجموع المشاهدة للحرب السمائية ، الحرب الإلهية ، الحرب الروحية ، معركة يسوع .

رأوا خدام يسوع ثابتين فى جرأة ، بفكر ثابت...محتملين سيوف العالم ، لكنهم مؤمنين ومحصنين بأسلحة الايمان .

كان المعذبون أعظم شجاعة من الذين يعذبونهم ، اذ غلبت الأعضاء المضروبة والممزقة ، الآلات التى ضربتها ومزقتها !!

كانت الأسواط تكرر الجلدات بكل ما فى قوتها ، لكنها لم تقدر أن تهزم الايمان غير المنظور !! .

كان الدم يتدفق ليطفئ لهيب الإضطهاد ويبطل نيران جهنم.

يا له من مشهد للرب سام وعظيم !! كم هو مقبول فى عينى الرب ، وفاء جنوده وتكريسهم له ...

حقاً كم يكون فرح المسيح فيهم !!

حقاً انه يحارب ويهزم ، فى مثل هؤلاء الخدام الذين له إذ يحمى إيمانهم ويقدم لهم أكثر مما يأخذ أولئك الذين يرغبون فى اهلاكهم .

إنه حالُ فى المصارعين الذين له ، يسمو بأبطاله ويقويهم وينعشهم . فالذى هزم الموت لأجلنا ،دائماً يهزم الموت فينا لذلك يقول « فمتى أسلموكم فلا تهتموا كيف أو بما تتكلمون. لأنكم تعطون فى تلك الساعة ما تتكلمون به لأن لستم أنتم المتكلمين بل روح أبيكم الذى يتكلم فيكم » مت ١٠ : ١٩ ، ٢٠ .

الشهيد كبريانوس

❖(فى رسالة يشجع فيها شعب Thibaris على الاستشهاد) .

يلزمنا أن نستعد للمعركة (الروحية) غير واضعين أمامنا سوى مجد الحياة الأبدية وإكليل الاعتراف بالرب . غير مهتمين بما سيقابلنا (من عذابات) لأنها ستكون كتلك التى عبرت وإنتهت .

هى حرب قاسية وشديدة ، تلك التى تهدد جنود المسيح... فلينظروا أنهم ***يشربون كأس دم المسيح اليومى ، حتى يعطيهم امكانية تقديم دمهم مسفوكاً لأجله*** . فإن هذا هو ما نبتغيه : أن نوجد مع المسيح ونقتدى بما علمنا إياه وما صنعه هو ، كقول الرسول يوحنا «من قال أنه ثابت فيه فينبغى أنه كما سلك ذاك هكذا يسلك هو أيضاً» ١ يو٢:٦ .

علاوة على ذلك فإن الرسول بولس يعلمنا قائلاً « اننا أولاد الله فإن كنا أولاداً فإننا ورثة أيضاً . ورثة الله ووارثون مع المسيح . ان كنا نتألم معه لكى نتمجد أيضاً معه» رو٨:١٦ ، ١٧ .

الشهيدكبريانوس

آلام ليست لاجل خطية او جريمة !!

❖ ليتنا أيها الاخوة العزاء ، نقتدى بهابيل أول الشهداء الذى ذبح ***لاجل بره*** ...

❖ ميلاد المسيح أيضاً يشهد أولاً إستشهاد الأطفال من سن سنتين فما دون ***من اجل المسيح*** فمع ان سنهم لم يكن يتلائم مع المعركة التى ثارت لينالوا الأكاليل ، وذلك لكى يعلن بأن أولئك الذين يستشهدون لأجل المسيح أبرياء ، لهم براءة الطفولة فى تسليمهم للموت من أجل المسيح .

هؤلاء الأطفال أظهروا أن الجميع معرضون لمخاطر الاستشهاد ، ما دام هؤلاء صحبوا الشهداء . ولكن كم تكون الخطورة إن كان أحدنا بكونه خادماً لا يقبل أن يتألم مع أن سيده قد تألم أولاً....

ابن الله تألم ليجعلنا ابناء الله ، وابن الانسان (أى نحن) يرفض ان يتألم لكى ما تستمر بنوته لله ؟ ! ! .

إن كنا نتألم بسبب بغضة العالم ، فقد احتمل يسوع هذا.

إن كنا نحتمل إهانات فى العالم أو نفى أو عذابات ، فإن خالق العالم وسيده ذاق أمر من هذا . لذلك علمنا الرب قائلاً « إن كان العالم يبغضكم ، فاعلموا أنه قد أبغضنى قبلكم، لو كنتم من العالم لكان العالم يحب خاصته . ولكن لأنكم لستم من العالم لذلك يبغضكم العالم . أذكروا الكلام الذى قلته لكم » ليس عبد أعظم من سيده . إن كانوا إضطهدونى فيضطهدونكم » يو ١٥:١٨-٢٠ . وما قد علمنا إياه ربنا وإلهنا ، نفذه فعلاً ، حتى لا يعتذر تلاميذه بأنه علم ولم يعمل .

الشهيد كبريانوس

ثانياً : الإنشغال بالسماويات

صليب الغلبة

«ناظرين الى رئيس الإيمان ومكمله يسوع الذى من أجل السرور الموضوع أمامه إحتمل الصليب مستهيناً بالخزى فجلس عن يمين عرش الله . فتفكروا فى الذى إحتمل من الخطاة مقاومة لنفسه مثل هذه لئلاً تكلوا وتخوروا فى نفوسكم» عب ١٢ : ٢ ، ٣ .

الصليب بلا شك كان قاسياً ومؤلماً ، لكن وراء هذه القسوة كان السرور يملأ قلب ربنا يسوع ... إنه صليب النصرة « ثقوا أنا قد غلبت العالم » . وأى غلبة هذه ، سوى أنه إرتفع بقلوب مؤمنيه إلى الحياة الأخرى « وأنا إن إرتفعت عن الارض أجذب إليّ الجميع» يو ١٢:٣٢ . فبالصليب يصلب مؤمنيه عن العالم والعالم عنهم ، لترتفع حياتهم إليه في السماويات .« لى اشتهاء أن انطلق وأكون مع المسيح ذاك أفضل جداً » فى ١ : ٢٣ .

حتى الذين ماتوا على الرجاء ، قبل إتمام عملية الفداء ، كان سرّ نصرتهم أنهم من بعيد نظروا المواعيد وصدقوها وحيوها وأقروا بأنهم غرباء ونزلاء على الأرض (عب١١:١٣)

منتظرين المدينة التى لها أساسات التى صانعها وبارئها الله (عب١١: ١٠) .

فالآلام صعبة ومرة ، لكن الإنشغال بيسوع إكليلنا السماوى يعطى للألم لذة ، ويفقد العالم بمغرياته وآلامه كل سطوته علينا .

نظرتهم الى العالم

لقد خلق الله العالم ورأى كل ما فيه حسن(تك١) . لكن الانسان تمسك بالعالم وإنشغل به عن الله وبهذا « العالم كله وضع في الشرير» ١يو٥:١٩ ، إذ صار الإنسان لا يستخدم العالم كقنطرة يعبر بها إلى الحياة الأخرى بل تعّبد له وإستعبد لمغرياته . « ان محبة العالم عداوة لله » يع ٤:٤ صار العالم يقتنص الإنسان ويمسكه فيه ويشغله بأفراحه أو آلامه عن الرحيل .

فالمؤمن لا يكره العالم فى ذاته ، لكنه يخشى أن يصطاده بمشاغله الكثيرة ، مثبتاً أنظاره فى أورشليم السمائية حيث تنتظره الأحضان الإلهية مستهيناً بالآلام ومستخفاً بالأمجاد ، فيحيا فى السماء وهو بعد على الأرض .

فإن لطمه إنسان على خده الأيمن ،يحول له الآخر ، لا جبناً ولا ضعفاً، لكن إفتداء الوقت.أنه يريد أن يبكمه لأنه مشغول بالرب . وهو فى هذا أشبه بعريس خرج إلى الكنيسة ليحضر

حفل زفافه فشتمه طفل...فمن الجنون أن يقف يطالب بحقه من هذا الطفل غير مبال بتأخيره عن حضور حفل العرس .

ومن جانب آخر ، فإن العالم هو أشبه بحلقه ملاكمة بقدر ما يحتمل الملاكم من تداريب قاسية ، وبقدر ما يتقشف فى حياته يزداد رجاء فى النصرة يوم المباراة الرسمية .« لأن خفة ضيقتنا الوقتية تنشئ لنا أكثر فأكثر ثقل مجد أبدياً » ٢ كو ٤ :١٧ ...

ومن جانب ثالث ، فقد بلغ بمن وصلوا إلى درجات عالية من الروحانية أن غطت مشاعر السلام الداخلى الآلام فلم يشعروا ، أو هم فى غمرة إنشغالهم وحبهم للرب يسوع لم يشعروا بثقل الألم ... لا عن مشاعر بليدة أو أحاسيس جامدة ، لا بل أحاسيسهم المرهفة قد أمتصت بالكامل فى حب الرب وأمجاد السماء ، كالطالب الذى في غمرة نواله درجة علمية ينسى الأكل يوماً بأكمله .أو العكس الإنسان الذى فى أعماق حزنه على إنتقال أحد أقربائه يبقى بلا أكل أكثر من يوم دون أن يشعر بالآم الجوع .

وأخيراً يمكن أن نقول أن من اتحد بالمصلوب يصلب عن العالم والعالم عنه ،ومن مات عن العالم لا يعود يخاف الموت.

* * *

❖(فى رسالة إلى المسجونين لأجل الايمان)

❖ لقد إنفصلتم عن العالم (بدخولكم السجن)، بل بالأكثر

إنعزلتم عن الحياة العالمية بكل مشاغلها ، فلا تزعجكم هذه العزلة ، لأنه بالحقيقة إن أمعنا النظر نجد أن العالم هو السجن الحقيقى . فأنتم لم تدخلوا سجناً بل عتقتم من سجن أقسى وأمر.

فالعالم يسوده ظلام أحلك ، لأنه يعمى قلوب البشر ، ويربط بسلاسل أخطر ، لأنه يعيق النفوس عن الانطلاق وتفوح فيه نجاسات أردأ هى شهوات البشرية ، ومكتظ بعدد أعظم من المجرمين (الخطاة) هم البشر ، وأخيراً فإن الجميع يترقبون الحكم لا على فم قاض بل على فم الله .

هكذا أيها الطوباويون ، إحسبوا أنفسكم أنكم قد نقلتم من سجن إلى مكان أكثر أماناً .

حقاً إن السجن تغشاه ظلمة ، لكن أنتم نور.فيه قيود لكن الله حرركم .تسوده الكآبة ، لكنكم رائحة المسيح الزكية فيه تنتظرون الحكم ، لكنكم ستدينون قضاتكم أنفسهم ...

فالمسيحى وهو خارج السجن يزدرى بالعالم ، وفى داخل السجن يستخف به أيضاً ...فإن كنتم قد فقدتم بعض متع العالم ، فهذا هو الطريق أن تخسروا بعض الزمنيات حتى يكون ربحكم أعظم .

ان سلمنا جدلاً أيها المباركون ، بأن السجن مكان

كثيب ... لكن فلنعلم إننا قد دعينا من الله إلى حرب روحية حسب كلماته المقدسة .

والجندى لا يخرج إلى المعركة فى ترف ، لا يخرج من مخدع ناعم وثير ، إنما من خيمة صغيرة ضيقة ليس بها إلا كل خشونة وقسوة وكآبة ، بل وحتى فى أوقات السلم يلزم على الجنود أن يتدربوا على أعمال قاسية بتعب .

إذاً لابد أن نشقى فى كل عمل ...فلا يجزع إن خرجنا من تحت الظل إلى حرارة الشمس ، ومنها إلى الصقيع ، أو لبسنا العدة الحربية(الروحية) بدل الثوب العادى (السلام)، وخرجنا من الهدوء إلى الضجيج .

هكذا أيها الطوباويون ، أحسوا كل ما يصيبكم هى تداريب للتقوية ... حتى تنالوا إكليلاً أبدياً ملائكياً ، فتصيروا سكاناً للسماء ، ممجدين إلى الأبد .

ان سيدكم يسوع المسيح الذى مسحكم بروحه وقادكم إلى مسرح المصارعة (للتدريب) يرى أن هذا مفيد لكم ...فارضاً عليكم تداريب قاسية حتى تتقووا روحياً أكثر . فالمصارعون يدخلون فى تداريب قاسية كثيرة حتى يقوى بنيان أجسادهم، ممتنعين عن الترف والأطعمة الشهية والمشروبات المسكرة ، مجاهدين أكثر ، لأنه كلما قست تداريبهم زاد رجاؤهم فى الفوز ...

لنضع أمام أعيننا الاكليل السمائى ، ناظرين إلى السجن كحلقة تدريبية . حتى نوجد في نهاية الشوط عند الدينونة مدربين بتجارب كثيرة ، إذ تبنى الفضيلة فينا بالجهاد ، وتزول وتتحطم بالانزلاق فى الشهوات .

❖ اننا نعلم قول ربنا «أما الروح فنشيط وأما الجسد فضعيف ، مت ٢٦ :٤١.فلا نتخذ من قول الرب بأن الجسد ضعيف مجالاً للاسترخاء، فإنه ليس جزافاً تكلم الرب قائلاً أولاً « أما الروح فنشيط » مظهراً أى الأثنين يلزم أن يخضع للآخر.

فالجسد يلزمه أن يقدم الطاعة للروح .إذ يخضع الضعيف للنشيط ... تاركين الروح تحدث الجسد عن الخلاص المشترك، غير مباليـــة كثيراً بأتعاب السجـــن ، إنما مهتمـــة بالصـــراع (الروحى) الذى يستعدان له .

ربما يخاف الجسد من السيف الذى لا يرحم ، ويخشى الصليب المرتفع، ووحشية الحيوانات المفترسة ، ولهيب النيران، وكل ما يعده المضطهدون من أصناف العذابات المرعبة، لكن يلزم الروح من جانب آخر أن تضع أمام عينيها وعينى الجسد، أنه رغم كثرة الآلام لكن كثيرون احتملوها بهدوء ، بل اشتاقوا إليها بشغف لأجل المجد السماوى . هذا لم يكن فقط

بالنسبة للرجال ، بل والنساء أيضاً ، فيا أيتها النساء يلزمكن أن تكرمن جنسكن .

❖ ان السجن يفيد المسيحى ، كما أفادت البرية النبى ، بل والرب نفسه قضى معظم وقته فى عزلة لتكون له فرصة للصلاة فى هدوء بعيداً عن العالم . وفى عزلة الجبل تجلى بمجده أمام تلاميذه .

إذاً لا نعد بهد نسميه سجناً ، بل ***مكان خلوة*** ، فإذا يكون ***فيه الجسد مقيداً*** تنطلق النفس فى حرية خارج أسوار السجن ، غير ناظرة إلى ممرات السجن الضيقة المظلمة الطويلة ، بل متأملة الطريق المؤدى إلى الله .

فكلما كانت خطواتك روحية ، انطلقت من تقييد السلاسل، وكلما انشغلت افكارك بالسماويات لا تشعر اقدامك بالقيود . فالفكر يسيطر على الانسان كله ويوجهه إلى حيث يريد . فحيث وجد قلبك يكون كنزك . إذاً فلتكن قلوبنا حيثما يوجد كنزنا (مت ٦:٢١) العلامة ترتليان

❖ ليس شئ أقسى من الآلام الجسدية (فى عذابات الشهداء) لكن بسبب الفرح بإلههم ، فإن ما لا يمكن للآذان أن تحتمل سماعه ، يصير بالنسبة لهم محتملاً بل ويشتاقون إليه . فإن أخذت شهيد من على الصليب أو من أتون النار ،

وتكن به أنفاس ، فستجد فى داخله كنزاً من الفرح لا يعبر عنه .

القديس يوحنا ذهبى الفم

❖ ليبعد عنكم خوف البشر والوحوش وكل ما يقلككم ، ويهبكم فرحاً سمائياً ليلاً ونهاراً ، لتكونوا فى هذا الجسد كمن هو فى الملكوت .

القديس انطونيوس الكبير

❖ ليتنى أتمتع بالوحوش الضارية التى أعدت لى . فإننى أصلى أن يكون لها شغفاً أكثر لتنقض علىّ . واننى سأحرضها لتفترسنى سريعاً حتى لا تعاملنى كما تعامل البعض إذ لا تمسهم ، لأن الخوف قد انتزع منهم . فانها ان لم تشأ أن تهجم علىّ فسألزمها بالهجوم علىّ .

سامحونى على هذا ، فإننى أعلم بما هو نافع لى . الآن قد بدأت أن أكون تلميذاً . وإننى لا أترك شيئاً منظوراً أو غير منظور يعوقنى عن الوصول إلى السيد المسيح .

ليت النار والصليب ... ليت جماعات الحيوانات المفترسة... ليت التمزيق والكسر ... خلع العظام وبتر الأعضاء ... تقطيع الجسد كله إرباً ...وليت كل عذابات الشيطان تنصب علىّ ، لكننى فقط أصل إلى يسوع المسيح .

إن كل مسرات العالم وجميع ممالك الأرض لا تنفعنى شيئاً، فخير لى أن أموت من أجل يسوع المسيح عن أن أملك

كل ممالك الأرض » لأنه ماذا ينتفع الأنسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه » مت ١٦ : ٢٦ ...

سامحونى أيها الإخوة . لا تعوقونى عن الحياة ، اشتاقوا ألا أبقى فى حالة الموت . لا تسلمونى إلى العالم ما دمت أرغب فى أن أكون من خاصة الله . اسمحوا لى أن أنال النور البهى عندما أذهب إلى هناك ، حيث أكون بالحقيقة رجل الله . فإن من كان المسيح فى داخله ، فليأمل فيما أطلبه . وليترفق بى إذ يعرف كيف أنى محصور .

محبتى للعالم قد صلبت ، فلا تضطرم فىّ نار محبة شئ ما ، بل يحيا فى داخلى ماء حى يتحدث فىّ من الداخل قائلاً « تعال إلى الآب » .

لست أبتهج بطعام فاسد ، لا بملذات هذه الحياة ، لكننى أشتهى خبز الله ، الخبز السماوى ، خبز الحياة ، الذى هو جسد يسوع المسيح ابن الله ، صار من نسل داود وابراهيم . كما اشتهى شراب الله أى دمه ، الذى هو محبته غير الفاسدة وحياة أبدية .

الشهيد اغناطيوس الثيوفوروس
(رسالته إلى روما)

❖ بولس الرسول الطرباوى ، الذى بحسب النعمة الإلهية أعطى له أن يصعد السماء الثالثة ... يقول « آلام هذا

الزمان الحاضر لا تقاس بالمجد العتيد أن يستعلن فينا » رو ٨ : ١٨ .

كيف لا يجاهد الرسول بكل قوته لينال مجداً كهذا ، أن يكون صديقاً لله ، ويتمتع بالمسيح ، محتملاً العذابات والآلام الزمنية لأجل الجزاء السمائى !!

ان كان فى هذا العالم ، يُحسب مجد للجنود أن يعودوا إلى بلادهم بعد نصرتهم على العدو . فكم بالأكثر يحسب مجد عظيم وسام . عندما نغلب الشيطان ونعود إلى الفردوس فى نصرة ، مستردين نصرتنا من حيث طرد آدم [1] . كخاطئ، طارحين الشيطان الذى أسقطنا قبلا ، مقدمين لله أعظم هدية مقبولة هى إيماننا غير الفاسد ، وفكرنا الصالح غير المسترخى، وعبادتنا السامية الممدوحة ، وذلك حتى نصحبه أينما ذهب حيث ينتقم من أعدائه ، جالسين بجواره عندما يدين ، صائرين شركاء مع المسيح فى الميراث ، مساوين للملائكة ، فى حضرة الآباء البطاركة والرسل والأنبياء ، فرحين بملكوت السموات .

مثل هذه الأفكار ، أى اضطهادات يمكن أن تهزمها ؟! أو عذابات أن تتغلب عليها .

---

(١) لا يعنى هذا اننا سنذهب الى الفردوس الأرضى الذى كان فيه آدم ... انما بخطأ آدم لم يعد لنا دخول الفردوس السماوى .

فالفكر الشجاع الثابت يوجد حيثما يكون منطلقاً فى تأملات روحية كهذه ، والروح تكون صامدة ضد مخاوف الشيطان وتهديدات العالم ، عندما تتقوى بثقة أكيدة فى الإكليل المنتظر .

فبالاضطهادات تغلق الأرض ، لكن السموات تنفتح ؛
ما هو ضد المسيح يهدد ، لكن المسيحى يحمى ؛
الموت يتقدم ، لكن يتبعه الخلود؛
العالم ينزع عن الشهيد ، لكن يقدم له الفردوس ؛
الحياة الزمنية يفقدها ، لكن تعطى له الحياة الأبدية !
أى شرف هذا ، وأى أمان ، أن تخرج من هنا فرحاً ، وأنت ممجد من بين المضايقات والآلام ، وفى لحظة إذ تغمض عينيك عن رؤية الناس والعالم ، ترى أمامك اللّه الآب والمسيح ؟!

يا له من رحيل مبارك كهذا يحدث بسرعة فائقة ، ففجأة تنزع عن الأرض لتكون فى السماء (الفردوس)...

يلزمنا أن نحتضن مثل هذه الأفكار فينا، ونعطيها اهتماماً خاصاً ، ونتأمل فيها نهاراً وليلاً ، حتى متى أثير الاضطهاد على جندى اللّه فإن سيرته تؤهله للمعركة كى لا يهزم .

أما إذ دعى للرحيل (دون استشهاد) فانه لا يحرم من **المكافأة** عن إيمانه ، إذ كان معداً للاستشهاد . الشهيد كبريانوس

❖ الرب يرغب أن نفرح ونسر فى الاضطهادات ، لأنه حينما يوجد إضطهاد تعطى اكاليل الايمان ، ويتزكى جنوده وتفتح أبواب السماء للشهداء .

الشهيد كبريانوس

❖ إن سعادة المسيحى هى السماء ، ومكان محنته الأرض والممر من المحنة إلى السعادة هو الموت . ونحن مع ذلك نخاف أن نمضى إلى السعادة ! ولماذا هذا الخوف ؟! لأنه ينقصنا الإيمان .

اننا فى بيت الإيمان - الكنيسة - وليس عندنا إيمان يا للتناقض المحزن !!

نطلب من الله أن تتم إرادته ، وإذا دعانا إلى مغادرة هذا العالم ، نحزن ونضطرب ولا نلبى حالاً هذه الإرادة ، كأننا عبيد متمردون ، متمرمرون من وجوب العودة عند سيدهم ...

ما منفعة طلبنا ملكوت السموات ، ونحن مفتونون بعبودية الأرض ؟! ما فائدة تكريرنا للصلاة وقولنا « ليأت ملكوتك » ما دمنا نرغب ونحب أن نخدم الشيطان على الأرض أكثر من رغبتنا أن نملك مع المسيح ؟!

الشهيد كبريانوس

❖(من رسالة وجهها موسى ومكسيموس الكاهنان ويتفوستراتيوس الشماس وغيرهم من المعترفين الذين أودعو فى السجن انتظاراً للاستشهاد الى القديس كبريانوس أسقف قرطاجنة رداً على رسالة وجهها اليهم)

مرة أخرى نقول أننا قد نلنا فرحاً عظيماً ، وتعزية كثيرة وانتعاشاً قوياً ، خاصة فيما وصفته لنا من كرامات ممجدة ... لست أقول عن مجد الأموات بل خلود الشهداء .

إننا خلال رسالتكم ، لمسنا تلك النصرة المجيدة التى للشهداء ، وقد رأينا بأعيننا أشخاصاً انتقلوا كانوا بين الملائكة والقوات والسلاطين ... هذا ما يرفع روحنا يوماً فيوم ، ويلهب الشوق فينا إلى اقتفاء آثار مثل هذا الشرف .

فأى مجد أعظم من هذا ؟! وأى تطويب يمكن أن يناله إنسان أكثر ممن يعترف بالرب إلهه بفضل النعمة الإلهية ، حتى فى أثناء موته ، أمام مضطهديه أنفسهم ؟! بل وفى أثناء غضب القوة البشرية وثورتها ... حتى عندما يعذب جسده ويمزق ويقطع إرباً،يعترف بابن الله بروح طليقه ؟!! ...

وأى مجد أن يصعد إلى السماء (الفردوس) تاركاً العالم خلفه ، تاركاً البشر ليقيم بين الملائكة ، ويكسر الحواجز الأرضية ليتحرر فى نظر الله ، ويكون شريكاً لآلام المسيح فى اسمه ؟! وأن يصير بالنعمة الإلهية ديناً لمن يحكمون عليه الآن ...وإن بموته يخضع الموت الذى يرتعد منه الجميع ، نائلاً بموته الخلود ؟! وبتمزيقه إرباً وتحمله كل صنوف العذابات القاسية يغلب العذاب بالعذاب نفسه ؟ !

وبقوة فكره يهزم كل سكرات الموت التى تضايق الجسد !!
ولا يقشعر بدنه عندما يغلى دم الآخرين (المضطهدين) !!
ويبدأ يحب عقوبات الآخرين له بعد ما يكون له الايمان فى احتمالهم !!

هذه المعركة أخطرنا الرب بها ببوق إنجيله ... كذلك بولس الرسول يعلن عنها « من سيفصلنا عن محبة المسيح أشدة أم ضيق أم إضطهاد أم جوع أم عرى أم خطر أم سيف ...ولكننا فى هذه جميعها يعظم انتصارنا بالذى أحبنا » رو٨: ٣٥، ٣٧.

عندما نقرأ هذه الأمور وما أشبهها ، مما ورد فى الإنجيل ، تكون كمشاعل موضوعة أمامنا ، فبكلمات الرب يلتهب ايماننا ، ليس فقط لا نرتعب بل بالحرى نحث الاعداء على قبول الحق !

جماعة من المعترفين
فى رسالتهم الى القديس كبريانس

ثالثاً : التطلع إلى المصلوب

انطلق من ذاتك

مجرمان قاسياً القلب صلبا مع الرب يسوع ، كلاهما يتأوهان من شدة آلام الصليب وسخرية المجتمع لهما ... كلاهما لهما نفس الطبيعة وتحت نفس الظروف، وبجوار الرب المصلوب. أحدهما تطلع إلى آلامه ومرارة نفسه ، فجدف على الرب قائلاً «إن كنت أنت المسيح فخلص نفسك وإيانا» لو٢٣: ٣٩

والثانى ، بعدما عيّر الرب ، عاد فاصغى إلى كلمات الرب يسوع على الصليب « يا أبتاه إغفر لهم ، لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون » لو٢٣:٣٤ ... تطلع اللص إلى الرب المصلوب فرآه إلهاً متألماً من أجله ، يحب حتى أعدائه ... لذلك صرخ قائلاً « أذكرنى يارب متى جئت فى ملكوتك » .

الأول إنشغل بذاته ولم يتعد حدود آلامه فمات وخسر !! والثانى تطلع إلى آلام سيده وحبه فآمن ناسياً كل ما يعانيه من آلام .

فلم يرى اللص تسابيح الملائكة ليلة ميلاده ولا سلطان الرب فى تعاليمه وصنعه المعجزات وإقامته للموتى ، ولاهتاف الأطفال والرضع له ولا حتى حدوث الزلزلة وانحجاب الشمس

وتشقق الصخور عندما آمن ... لكنه رآه مصلوباً مهاناً ، رآه إلهاً محباً متألماً من أجل البشر ... فنسى كل آلامه ، مريداً ألا يفارق هذا المحب إلى الابد ... إنه لم ينشغل حتى بملكوت السموات لو لم يكن الملكوت هو الوجود فى أحضان هذا المحب . إنه يريد أن يلتقى به إينما وجد ، ومهما كانت آلامه وضيقاته .

وإذ تطلعت أنظار القديس أغناطيوس الثيؤفوروس إلى المصلوب طلب بالحاح من أهل رومية ألا يبطلوا شهادته قائلاً فى رسالته إليهم « اننى ابحث عن ذاك الذى مات لأجلنا ، واشتاق إلى الذى قام لأجلنا . هذا هو الربح الذى أدخره لنفسى » .

لنرفع قلوبنا دائماً إلى المصلوب فتهون علينا آلامنا بل وننساها.

* * *

❖ عندما تعانون من قسوة عدوكم تذكروا قول الرب على الصليب ... وإن كان الرب مثالاً عالياً بالنسبة لكم فانظروا إلى زميلكم الخادم اسطفانوس ، فقد كان يصلى من أجل أعدائه بركب منحنية أثناء رجمه ...

أريدكم أن تتمثلوا به ، تقدموا إلى الأمام . لماذا تسحبون

قلوبكم فى الأرض إلى الأبد ؟ اسمعوا « ارفعوا قلوبكم » .

القديس اغسطينوس

❖ إذا وجد من يبغضك فلا تحزن ، لأنك لست وحدك من أبغضوه ، بل سيدك من قبلك أبغضوه .

القديس يوحنا التبايسى

❖ إن افترى أحد عليك فلا تفترى أنت عليه ، بل افرح واشكر الله لاتحزن إذا افترى الناس عليك ، بل بالحرى احزن إذا أخطأت إلى الله .

إذا رذلك الناس وافتروا عليك لا تحزن ، لأن ربك دعى مختل العقل وبعلزبول وبه شيطان ولم يتذمر . فاقتن لك وداعة القلب ، وأذكر أن ربك وإلهك سيق كخروف إلى الذبح ولم يفتح فاه .

الانبا باخوميوس

❖ اذكر الخروف الوديع وكم صبر ، فرغم أنه لم يكن له خطية، لكنه أحتمل الشتم والضرب وسائر الاوجاع حتى الموت.

الانبا برصنوفيوس

❖ إذا رأينا الله على الدوام بعيون نفسنا ، إذا انطلق فكرنا بلا انقطاع إلي تذكره ، فكل شيء يبدو لنا سهلاً خفيفاً . إذا كان من يتذكر صديقه ، ينهض شجاعته ويفرح بتذكاره، ***فكيف يمكن أن يكون حزيناً أو مرتعباً أو خائفاً من الخطر من يتذكر الاله الذى قد تنازل وأحبنا ؟!***

القديس يوحنا ذهبى الفم

رابعاً : معرفة العدو الحقيقى

« الشيطان »! !

حرب بين الله والشيطان

الشهداء ، سر نصرتهم ، إدراكهم لحقيقة الموقف ، انها حرب خفية بين الله والشيطان . الله يريد أن الجميع يخلصون وإلى معرفة الحق يقبلون ، والشيطان يود هلاك الكل .

بهذه النظرة لم ينظروا الى المضطهدين كأعداء ، بل مجرد آنية هلاك استخدمها الشيطان لتحقيق مآربه ... مع أنهم زملاء لهم ، مات المسيح لأجلهم ، لذلك يود الشهداء خلاصهم . ففى عمق عذاباتهم يصرخون لأجل تحويل المضطهدين الى آنية للخلاص .

فاسطفانوس إذ كانت الحجارة تنهال عليه . يستودع روحه فى يدى الله ... ويصلى بركب منحنية لأجل راجميه ... لأنهم مرضى محتاجون إلى عطف وحنان بل إلى صلوات .

بهذه النظرة يدرك الشهداء أن الحرب ليست ضدهم بل ضد الساكن فيهم لذلك كانوا يقضون جّل وقتهم فى الصوم والصلاة حتى يسلمون الحرب الروحية فى يد الله ضد الشيطان ... وهم فى ذلك يتشبهون برئيس الملائكة ميخائيل الذى « لما

خاصم ابليس محاجاً عن جسد موسى لم يجسر أن يورد حكم افتراء بل قال لينتهرك الرب » يه ٩ .

بهذا كانت تتم النصرة على الشيطان بالرب .

* * *

الشيطان عدو مشترك !!

❖ حتى متى يضاد أحدنا الآخر باطلاً ؟! إلى متى يحارب بعضنا البعض ، فنفرح بذلك الشيطان عدونا ؟!

بماذا نجيب أيها الانسان ؟ أما تخجل مستحياً من قولك بأن لك انسان عدو ؟ أما تكفى عداوة الشيطان لنا منذ خلق الله العالم ، ذاك الذى أخرجنا من الفردوس مكرهين ، ولا زال يعمل على اخراجنا منه والذهاب بنا إلى الجحيم ؟! فيا ليته لا تكون بيننا عداوة حتى لا نفرح الشيطان .

القديس يوحنا ذهبى الفم

❖ ايها المطوبون،لا تحزنوا الروح القدس(أف٤: ٣٠) الذى دخل معكم إلى السجن ، لأنه لو لم يكن معكم لما ثبتم إلى الآن .

فلتجاهدوا إذاً لكى ترتبطوا به (تتركوه يعمل فيكم) حتى يقودكم فى طريق الرب .

إن السجن مسكن ابليس وجنوده ، لكنكم دخلتم فيه حتى تطرحوا الشرير تحت اقدامكم فى مسكنه الخاص ...

العلامة ترتليان

❖ «اعطنا عوناً فى الضيق ، فباطل هو خلاص الانسان بالله نصنع ببأس وهو يدوس أعداءنا » مز ٦٠ : ١١ .

لا ، لن نصنع بأساً بالسيف اذ هو ليس بأساً خارجياً ، بل هو قوة داخلية «بالله نصنع ببأس » ...

لقد سحق الشهداء فى آلام وصعوبات حتى النهاية ، لكن بالله صنعوا بأساً ، وهكذا داس الله اعداءهم...

القديس اغسطينوس

❖ قد يعترض أحدكم قائلاً : كان المسيح الهاً . اما أنا فانسان ضعيف ، ذهنى قوى ، لى ميول نفسية ...

ايها الانسان ، اعلم أن الله لم يجردك من روح رأفته ومحبته فهو بجوارك، لا بل فى داخلك.هو فيك بالروح القدس لأننا نحن مسكنه وهو يسكن فى نفوس محبيه ومريديه . هو الذى يعضدك بيمينه فلا تتزعزع، ويمسك بك فلا تسقط . اذاً لا يغلبنك الشر ، بل اغلب الشر بالخير (رو ١٢:٢١) .

القديس كيرلس الاسكندرى

خامساً: مخافة الله تطرد مخافة الناس

❖ «لاتخافوا من الذين يقتلون الجسد ولكن النفس لا يقدرون أن يقتلوها ، بل خافوا بالحرى من الذى يقدر أن يهلك النفس والجسد كليهما فى جهنم » مت ١٠: ٢٨ .

يعلمنا الوحى الإلهى الذى سمعناه الآن ، ألا نخاف مما يخيف وأن نخاف مما لا يخيف ...

والخوف قد يبدو حليفاً للجبن ، وأنه من صفات الضعيف لا القوى .لكن أنظروا ماذا يقول الكتاب «فى مخافة الرب ثقة عظيمة» أم١٤: ٢٦ .اذاً فلنخف من عدم الخوف ، أى لنخف بحكمة من عدم خوفنا من الله بكبريائنا .

فالشهداء القديسون ، الذين بمناسبة تذكارهم المقدس نقرأ هذا الفصل من الإنجيل لم يخافوا مما يخيف ، لأن فى مخافتهم لله لم يهابوا انساناً ...

انسان يهدد انساناً ، وهو مخلوق يهدد آخر ، أحدهما متكبر فى عينى الله والآخر يهرب ملتجأ الى الخالق ذاته. لذلك فليقل الشهيد وهو واقف قبالة انسان مثله « اننى لا أخاف منك لأننى أخاف الله» ، فأنت لا تستطيع أن تنفذ

وعيدك لى بدون سماح من الله ، لكن ما يهدد به الله لا يستطيع أحد أن يمنعه عن تنفيذه .

بماذا تهدد وماذا تستطيع أن تفعل ، حتى إن سمح لك ؟! ان سطوتك لا تتعدى الجسد،أما الروح ففى امان منك . انك لا تستطيع أن تقتل ما لا تراه . لأنك منظور فلا تهدد إلا ما هو منظور فى ولكن لكلينا خالق غير منظور يلزمنا أن نهابه .

انك تقدر أن تهدد المسكن (الجسد) ، لكن هل تقدر أن تقتل الساكن فيه؟! فإذا تنحل قيود الجسد ، تهرب النفس التى كانت مقيدة ، ويصير لها اكليل ...

أنظر ، فإننى لا أخاف وعيدك حتى بالنسبة لجسدى . حقاً أنه يخضع لسلطانك ، لكن حتى شعر رأسى محصى بواسطة خالقى فلماذا أخاف من فقدان جسدى ، أنا الذى لا يمكن أن أفقد شعرة واحدة منى بدون اذنه ؟!

أتريد أن تعلم ما هو موت الروح ؟ إفهم ما يقوله النبى « المنافق ... لا يرى جلال الرب» أش٢٦: ١٠ .

اذاً فلتخف الروح من موتها الخاص ، ولا تخاف من موت جسدها ، لأنه إن خافت من موتها وعاشت بإلهها ، بعدم أخطائها اليه ورفضها له ، ستكون مستحقة فى النهاية أن

تأخذ جسدها مرة أخرى ، لا فى عقاب أبدى كالأشرار ، بل فى الحياة الأبدية مثل الأبرار .

فبالخوف من موت الروح وبحب الحياة الأبدية تأهل الشهداء أنفسهم للتتويج بواسطة الله على رجاء مواعيد الله ، مزدرين بتهديدات المضطهدين و تاركين لنا تبجيلاً لهذه المقدسات .

❖ إن عدوكم لا يستطيع بقوته أن يؤذيكم قدر ما تؤذون أنتم أنفسكم بأنفسكم بعدم محبتكم له . انه قد يتلف عقاركم أو قطعانكم أو منازلكم أو خدمكم أو خادماتكم أو ابناءكم... أو على الأكثر يكون له سلطان على أجسادكم لكن هل فى قدرته أن يؤذى ارواحكم كما تؤذونها أنتم ؟!

« الاشرار قد سلوا السيف ومدوا قوسهم لرمى المسكين والفقير . لقتل المستقيم في طريقهم . سلاحهم يدخل فى قلبهم » مز ٣٧:١٤ ، ١٥ .

من السهل أن يصل سلاح الأشرار- أى سيفهم - إلى جسدك كما وصل سيف الاضطهاد إلى أجساد الشهداء ، لكن عندما ضرب الجسد بقى « القلب » سليماً ، أما قلب المضطهد فلم يبقى سليماً إذ سلاحه دخل فى قلبه ...ان المضطهد

يكتفى بقتل الجسد ، أما نفسه هو فتموت ، أما الذين قتلت أجسادهم فقد حررهم الرب من التعب .

❖ لا تخافوا من أى عدو خارجى . إنتصروا على أنفسكم فتغلبون العالم كله .

ماذا يقدر أى مجرب خارجى أن يصنع ضدكم ، سواء أكان شيطاناً أو خادماً له ؟!

صلوا إلى الله من أجل أن يعطيكم الله نصرة على أنفسكم ، أقول يعطيكم الغلبة لا على أعدائكم الخارجين ، بل على أرواحكم الداخلية .

القديس اغسطينوس

❖ ❖ ❖

بركات الآلام .. !!

تقـــديم

نظرتنا إلى جوهر الحرب الروحية ، أنها قائمة بين الله وعدو الخير « الشيطان » ، تحول الآلام والمضايقات من الأشرار مجالاً لمجد الله وخير نفوسنا ونفوس مضطهدينا .

فالله يتمجد فى أولاده باحتمالهم الألم بفرح ... وكما ذكر القديس يوحنا كاسيان عن شيخ قديس أنه أتى دفعة من الاسكندرية فاحدق به كثير من الوثنين وشرعوا يشتمونه ويهينونه ، ويدفعونه ويضربونه ويسخرون به بكل أنواع السخرية والافتراء أما الشيخ فكان بينهم كخروف وديع ، يحتمل كل شئ صامتاً . فسأله أحدهم بنوع من السخرية : ماهى العجائب التى صنعها مسيحك ؟ فأجابهم الشيخ : ان العجائب التى صنعها مسيحى هى اننى إذا افتريتم علىّ وسخرتم بى هكذا لا أحقد على أحدكم بالغضب ولا نجس قلبى أصلاً .

حقاً من مجد الله مثل أولئك الشهداء الذين اقبلوا على الآلام والضيقات بفرح وسرور ؟!

والآن ليعطنا الرب فهماً لندرك بركات الألم بالنسبة للمضطهدين والمضطهدين .

أولاً : نمو الكنيسة

« الحق الحق أقول لكم ان لم تقع حبة الحنطة فى الأرض وتمت فهى تبقى وحدها ، ولكن إن ماتت تأتى بثمر كثير » يو١٢:٢٤ . فالحبة لها صورة الضعف ، ليس لها ما يسندها، لكنها تملك فى داخلها جنين الحياة ، إن ماتت ودفنت فى الأرض أظهرت حياة ... مثمرة ثلاثين وستين ومائة .

والرب يسوع المسيح - الحنطة الحقيقية - له بحسب المنطق البشرى صورة الضعف ، كمن لا سلطان له : تلاميذه هربوا ، والشعب يصرخ طالباً الصلب ، والرومان ينفذون رغبة اليهود الأشرار ... لكن فيه الحياة (يو ١١:٢٥) . ما أن مات ودفن حتى قام مبطلاً الموت ومظهراً الحياة (٢تى١ : ١٠)، ومعطياً مفهوماً جديداً للألم والموت ، قام بثمر كثير... بكرها لص مرذول لفظه العالم صالباً إياه على الصليب .

وما حدث مع الرأس ، يحدث بصورة مشابهة - مع الفارق اللانهائى - مع جسده السرى ، فاسطفانوس ، حبة الحنطة ، يكمن فيه جنين الحياة ، لكن ليس من ذاته كالرب يسوع (يو١:١٨)، بل الرب الساكن فيه . فعندما رجمت الحبة ظهرت رائحة يسوع فى حلاوتها « يارب لاتقم لهم هذه

الخطية » . لقد ماتت الحبة فى ذاتها ، لكنها عاشت فى ثلاثين أو ستين أو مئة ضعف ، أخرجت بولس الذى كان مضطهداً للكنيسة ليكون رسولا ...

لابد لكل عضو من أعضاء جسد الرب المصلوب أن يصلب ويموت ، بصليب خارجى أو داخلى - اضطهادات أو ضيقات من الخارج أو من أفراد العائلة ، وأسهار وأصوام وجهاد وانكار للذات ... لابد له أن يموت وينتهى بشكل الحبة الاولى وكيانها ، لكنها تحيا فى مئة ضعف بشكل جديد .

فعندما قال له بطرس «هانحن قد تركنا كل شىء وتبعناك» مر ١٠ ، ٣٠ ، أجابه الرب « الحق أقول لكم ليس أحد ترك ... إلا ويأخذ مئة ضعف فى هذا الزمان ... مع اضطهادات وفى الدهر الآتى الحياة الأبدية» . فكان الاضطهادات أو الآلام هى هدية مقدمة من الرأس إلى أعضاء جسده حتى تنمو وتكثر، مع حفظ حقهم كأبناء فى الحياة الأبدية .

يقول التاريخ أنه بقدر ماكانت أعضاء المسيح الحية تحتمل من آلام ومضايقات - أيا كان مصدرها - بقدر ما كانت الكنيسة نامية . لأنه بذلك يمكنها أن تشهد عن يسوع المتألم المحب . « حاملين فى الجسد كل حين إماتة الرب يسوع لكى تظهر حياة يسوع أيضاً فى جسدنا المائت »

٢كو٤:١١. فبقدر ما تتحد الأعضاء برأسها المتألم تصير حياتها مستترة فيه « لأنكم قد متم وحياتكم مستترة في المسيح » وبالتالى تصير خير شاهدة أمينه له .

وعلى العكس يوم شبعت كثير من كنائس اليوم بالمظهرية والتنعم .فقدت الكثير من ابنائها - ولو كان لازال لهم صورة الارتباط الشكلى بالكنيسة . وعندئذ نسمع كلمات غاندى المؤلمة « لقد أحببت المسيحية ولكنى لا اؤمن بأعمال المسيحيين » .

أقول ما أكثر كنائس اليوم التى تحشد الملايين ممن يدعون المسيحية وهم أبعد ما يكون عن روح المسيح !!

هذا ومن الناحية اللفظية فان كلمة « شهادة» أى نشهد ليسوع المصلوب القائم من بين الأموات باستعلان حياته فينا، مأخوذة عن فكرة « الاستشهاد » أى نشهد للرب ولا ننكره حتى الموت من أجل الإيمان به .

(آمن يوستينوس بالمسيحية لما رأى المسيحيين يقبلون على الاستشهاد بفرح وقد كتب كتاباً دافع عن المسيحيين جاء فيه[1]:)

---

(١) عن كتاب « جيش الله » مجلة مرقس .

ها أنت تستطيع أن ترى بوضوح أنه حينما تقطع رؤوسنا ونصلب ونلقى إلى الوحوش المفترسة ، ونقيد بالسلاسل ونلقى فى النار وكل أنواع التعذيب اننا لا نترك إيماننا - بل بقدر ما نعاقب بهذه الضيقات بقدر ما ينضم مسيحيون أكثر إلى إيماننا وديانتنا باسم يسوع المسيح .

ان الكرام يقطع أغصان الكرمة التى تحمل ثماراً حتى تنمو أغصان أخرى ، وهذا يصيرها أكثر حيوية وأكثر اثماراً .

وهذا ما يحدث معنا ، فالكرمة التى غرست بواسطة الله مخلصنا يسوع المسيح هى شعبه .

الشهيد يوستينوس

❖ لقد سمعتم أيها الأخوة عند قراءة الانجيل ، كيف قوى ربنا يسوع المسيح شهداءه بتعاليمه قائلاً «ها أنا أرسلكم كغنم فى وسط الذئاب » مت ١٠ : ١٦ .

تأملوا يا اخواتى ماذا يفعل يسوع ، إن ذئباً واحداً لو ألقى بين غنم كثير ، ولو بلغ عدة آلاف ، لإرتعب القطيع كله رغم عدم قدرة الذئب على افتراس الكل ، لكن الكل يخافونه ؛ فأى مشورة ، وأى تدبير ، وأية قوة هذه حتى لاينبث الله ذئباً وسط الغنم بل يرسل غنماً وسط الذئاب !!... انه لا يقترب بهم نحو الذئاب ، بل « فى وسط الذئاب » !

لقد كان هناك قطيع من الذئاب وقلة من الغنم فعندما افترست الذئاب الكثيرة الغنمات القليلة تحولت الذئاب إلى الغنم !!

القديس اغسطينوس

❖ لقد اشرق عيد الشهداء المجيد ، إذ أمر يسوع قائد شهدائه جنوده أن يحاربوا (روحياً ضد الشيطان) متقدماً هو أولاً فى الحرب منتصراً ، حتى يقتفوا أثاره ويستعينوا بقدرته ويتوجوا حسب مواعيده ...

ولقد قيل هذا الكلام «اعدائى تقاولوا علىّ بشر:متى يموت ويبيد اسمه !؟ » مز ٤١:٥ ، قال هذا من هم ضد المسيح عندما سارت الجموع وراءه ...ومات المسيح لكن اسمه لم يبد، بل زرع اسمه كالبذور. مات كما تموت حبة الحنطة لكى ما تأتى بثمر أكثر (يو١٢:٢٤) . وعندما تمجد ربنا يسوع المسيح إبتدأ تلاميذه يسمعون نفس الكلمات التى سمعها السيد نفسه . والآن فإن يسوع المسيح قائم فى السموات يعمل فينا نحن الذين على الأرض يقال لنا « متى يموت ويبيد اسمه » . فمنذ ذلك الوقت أثار الشيطان الاضطهاد على الكنيسة حتى يزيل اسم المسيح ، وحتى يموت المسيح مرة ثانية لا الرأس ، بل جسد الكنيسة وهكذا ذبح الشهداء.

هكذا سفك الدم المقدس لكى ما تنمو الكنيسة وتزداد وتنتشر تعاليمها ... وهكذا تكاثر المسيحيون وإزدادوا ولم تتحق أمنية الأعداء إذ تبددت الأوثان وتحطمت !!!

القديس اغسطينوس

❖ لقد كان شاول (الطرسوسى) عدو الكنيسة ، وكانت الكنيسة تقيم صلوات من أجله ليصير صديقاً لها . فلم يكف شاول عن اضطهاد الكنيسة فحسب ، بل وصار يجاهد لمساعدتها .

لقد أقيمت صلوات ضده . لكنها ليست ضده كانسان بل ضد افتراءاته . فلتكن صلواتكم لا ضد اعدائكم بل ضد افتراءاتهم حتى تباد ، أما هم فيحيون . لأنه إن مات عدوكم تفقدونه كعدو لكنكم تخسرونه كصديق أيضاً . أما إن ماتت عداوته فتفقدونه كعدو وفى نفس الوقت تكسبونه صديقاً .

القديس اغسطينوس

❖ انظر إلى شاول (الملك) الوحش المفترس ، كيف صار وديعاً ، فسابقاً لم يكن يطيق أن يسمع اسم داود ، والآن يقول له : هذا صوتك يا ابنى لقد أفسدت وداعة داود عداوة شاول ، فجعلت القاتل أباً والذئب خروفاً . فمن تراه يكون مطرباً مثل داود مخزن الوداعة !!!

القديس يوحنا ذهبى الفم

بحزن طالباً خلاص مضايقيه !!

❖ أنا أفرح جداً بذمك لى وأحسب شتائمك منفعة لى . لكنك تقول : فلماذا تلومنى عندما أشتمك ؟!

إسمع ما أقوله لك ، ان ربنا قال لى صبغة [1] بها اصطبغ ، وانا عازم أن اكملها ، أعنى انى مستعد للموت وأترجى القبر . لكن ما كان ليهوذا أن يسلم حبيبه !!

الشيخ الروحانى

محتاج الى عطفك !!

❖ الذين يخدمون أبناءهم أو أصدقاء أعزاء عليهم أو أطفالاً صغاراً أو اناسا معتوهين ...هؤلاء يدركون قيمة احتمال ضعف (شرور) الاخرين بفرح،رغم ما قد يصيبهم من أضرار. فإنهم متى أدركوا أنه فى إحتمالهم فائدة لمن يخدمونهم فسيضاعفون خدمتهم وإحتمالهم حتى يشفون من أمراضهم .

إذاً بماذا يوصينا طبيب النفوس - الرب يسوع - من جهة أقربائنا سوى أن نحتمل ضعفاتهم وشرورهم لأجل خلاصهم،فان شرورهم ناتجة عن ضعف نفوسهم ومرضها .

---

(١) فى الأصل معمودية وهو يعنى صبغة الألم .

❖ كثيرون تعلموا كيف يقدمون الخد الآخر ، لكنهم لم يتعملوا كيف يحبون ضاربيهم .

فالمسيح نفسه ، واضع الوصية ومنفذها الأول ، عندما لطمه عبد رئيس الكهنة على خده ... قال « إن كنت قد تكلمت رديا فاشهد على الردى ، وان حسناً فلماذا تضربنى » يو١٨:٢٣ . فهو لم يقدم له الخد الآخر ، لكنه مع ذلك كان مستعداً لخلاص الجميع ، لا بضرب خده الآخر فقط من هذا العبد ، بل وبصلب جسده كله .

القديس اغسطينوس

قد يصير افضل منك !!

❖ لكنكم كيف تعرفون أن الذى تطلبون له الشر ، لا يكون فى الغد أفضل منكم ، لكنكم ستقولون إننا نعلم أنه شرير. حسناً ، ينبغى أن تعلموا أنكم أنتم أيضاً أشرار . فإنكم إذ تأخذون على عاتقكم أن تحكموا على ما فى قلوب الآخرين التى لا تعرفونها ، فاحكموا على قلوبكم التى تعرفونها أنها شريرة .

ألم تسمعوا قول الرسول « أنا الذى كنت قبلا مجدفاً ومضطهداً ومفترياً ولكن رحمت لأنى فعلت بجهل فى عدم إيمان » ١ تى ١٣:١ . هل تظنون أيها الأخوة أن الكنيسة

كانت تصلى من أجل بولس أم ضده عندما كان يضطهد المسيحيين ، مقيداً إياهم حيثما وجدهم ، سائقاً إياهم ليسألوا ويعاقبوا ؟

من المؤكد أن كنيسة الله التى تسلمت التعاليم من ربها الذى قال وهو معلق على الصليب« يا أبتاه أغفر لهم لأنهم لايعلمون ماذا يفعلون » لو ٢٣:٣٤ ، صلت لأجل بولس أو بالأحرى لأجل شاول حتى يعمل فيه الذى صنعه ، لأنه يقول فى هذا « ولكننى كنت غير معروف بالوجه عند كنائس اليهودية فى المسيح . غير أنهم كانوا يسمعون أن الذى كان يضطهدنا قبلا يبشر الآن بالإيمان الذى كان قبلا يتلفه . فكانوا يمجدون الله فىّ» غلا١:٢٢-٢٤ . لماذا كانوا يمجدون الله فيه إلا لأنهم كانوا يسألون ذلك من قبل أن يتحقق ؟!

لا تقل « آه ينبغى أن يموت عدوى ! يا رب إن كنت قد وجدت نعمة فى عينيك فلتقتل عدوى » . لأنك إن نطقت بهذا أما تخاف أن يجيبك قائلاً « إن كان ينبغى علىّ أن أقتل عدوك . فعلىّ أن أقتلك أنت أولاً ... فكر فيما كنت عليه منذ لحظة ! ألم تجدف علىّ ؟! ألم تسخر بى ؟! ألم ترغب فى إزالة اسمى من على الأرض ؟! ومع هذا فأنت تمدح نفسك لأنك أتيت إلى ههنا .

فلو أنى قتلتك يوم كنت عدواً لى ، كيف كنت أحولك لتكون صديقاً لى ؟! فلماذا تعلمنى بصلواتك الشريرة أن أصنع مع عدوك ما لم أصنعه معك ؟! » .

القديس اغسطينوس

❖ « فلا تخجل بشهادة ربنا » ٢ تى ١:٨ .

هنا يقصد الرسول ألا تخجل بموت المسيح . وكلمة شهادة هنا هى أصل فكرة الاستشهاد .

القديس يوحنا ذهبى الفم

❖ «وقد رأينا ونشهد » ١ يو ١:٢ .

قد لا يعلم بعض الأخوة الذين لا يعرفون اليونانية ما تعنيه كلمة « نشهد » ، فهى كلمة شائعة ، لكن لها مفهوماً دينياً .

فكلمة « نشهد » فى لغتنا (يقصد باللاتينية) تطلق فى اليونانية على الشهداء ... نعم ، عندما نقول « رأينا ونشهد » كأننا نقول « رأينا وصرنا شهداء » لأن الشهداء احتملوا تلك العذابات بسبب شهادتهم بما رأو وشهادتهم بما سمعوا من اولئك الذين عاينوا .

القديس اغسطينوس

ثانياً : بركات للمتألم

الألم فى مفهومه الجديد ، شركة مع الرب المتألم ، يمجد الله وينمى الكنيسة ويفيد المتألم نفسه .

فيكفى للمتألم ، اشتراكه مع الرب فى آلامه التى غلب بها الألم ذاته والموت . يكفيه أنه بذلك يصادق الرب فى احتماله الألم ظلماً « كونوا كاملين كما أن أباكم الذى فى السموات هو كامل » مت ٧ فكأبناء له يلزمنا أن يكون لنا روحه عاملاً فينا ، روح الحب ، نامين فى كل شئ إلى ذاك الذى هو رأس المسيح (أف ٤:١٣) .

فالألم يقربنا إلى الله ويعطينا دالة أمامه ، لأننا إذ نحب من يضايقنا لأجل الرب نقرض الرب « ان أحببتم الذين يحبونكم فأى فضل لكم ... بل أحبوا أعداءكم » لو٦ :٣٢-٣٥ . وعلى هذا يصير لنا ثقة أن كل طلباتنا التى حسب إرادته تستجاب لنا .

❖ صلِ لأجل من ظلمك ... هذا ليس قولى أنا بل قول السيد المسيح « صلوا لأجل الذين يسيئون إليكم » .

تفطن فيما هى الجائزة ... « لتكونوا مثل أبيكم الذى فى السموات » .

ولعمرى إنك ما خسرت شيئاً بل أخذت بزيادة ، ما ظلمت بل تكللت . إذ صرت شبيهاً بالله .

القديس يوحنا ذهبى الفم

❖ ان شئت أن تصادق الله فلا تحزن أحداً من الناس ، حتى ولو أكثر الإساءة اليك ، بل أترك الأمر لله .

أما إذا صادقت الله ، فسوف يقوم الكل عليك ويرفعون عقبهم على رأسك ، وأخيراً إكليلاً من ياقوت يضعونه عليك وتاجاً ملوكياً على رأسك .

الانبا تيموثاوس

❖ ما هو الشر الذى صنعه بك عدوك ، أسرق مالك ومقتنياتك؟! فإنك إن احتملته بصبر وشكر ... تنال أجراً من الله كأنك أعطيته صدقة .

القديس يوحنا ذهبى الفم

❖ من أراد أن يسمع الله صلاته بسرعة ، فإنه إذا وقف يصلى، يبسط يديه ويطلب أولاً من أجل اعدائه بضميره كله، قبل أن يصلى لأجل نفسه . وبهذه الفضيلة يستجيب الله له كل ما يسأله .

الاب زينون

بركات اخرى

حديثنا السابق كان يتركز عن الآلام التى فيها شركة مع

الرب، وليست كشمرة من ثمار استهتار أو تراخ أو عصيان ... هذه الآلام الأولى أفاض العهد الجديد الحديث عنها ، فمن أقواله : -

« طوبى للمطرودين *من اجل البر* » مت ٥: ١٠ .

« طوبى لكم إذا طردوكم أو عيروكم وقالوا عليكم كل كلمة شريرة *من اجلى كاذبين* » مت ٥: ١١ .

« لأن هذا فضل ان كان أحد من أجل ضمير نحو الله يحتمل احزاناً *متألماً بالظلم* لأنه أى مجد هو إن كنتم تلطمون مخطئين فتصبرون . بل إن كنتم *تتألمون عاملين الخير* فتصبرون فهذا افضل عند الله . لأنكم لهذا دعيتم . فإن المسيح أيضاً تألم لأجلنا تاركاً لنا مثالاً لكى تتبعوا خطواته » ١بط ٢ :١٩-٢١ .

« فمن يؤذيكم إن كنتم متمثلين بالخير . ولكن وإن *تألمتم من اجل البر* فطوباكم » ١ بط ٣:١٣. ١٤ .

« إن عيرتم *باسم المسيح* فطوبى لكم لأن روح المجد والله يحل عليكم » ١بط ٤:١٤ .

« فلا يتألم أحدكم كقاتل أو سارق أو فاعل شر أو متداخل فى أمور غيره . ولكن إن كان كمسيحى فلا يخجل بل يمجد الله من هذا القبيل ... فإذاً الذين يتألمون *بحسب*

مشيئة الله فليستودعوا أنفسهم كما لخالق أمين فى عمل الخير » ١ بط ٤ ١٥-١٩ .

لكن الله - صانع الخيرات - يسمح بتجارب وآلام كثيرة مرة يحصدها الانسان فى عصيانه أو استهتاره ... فبصراخه الى الرب يجعل الآلام تؤول إلى الخير ... إما لتأديبه حتى يشعر بمرارة الخطية ، أو حتى يشعر بغربته عن العالم أو للتدريب على قتل روح الإنتقام الذى فينا أو لنفع أو آخر ...

❖ إذا أخطأنا فإن الله ينهض علينا أعدائنا ليؤدبوننا لذلك يلزمنا ألا نحاربهم بل نحاسب أنفسنا ونثقفها .

إذاً فلنقبل الآلام كقبول الأدوية من الطبيب لأجل خلاصنا وكقبول التأديب من الآب حتى نتشرف . لهذا يقول الحكيم إبن سيراخ : يا إبنى إذا تقدمت لخدمة ربك ، فتأهب للتجارب واصطبر .

القديس يوحنا ذهبى الفم

❖ إننا متى سمعنا أحداً يذمنا ويثلبنا ، نمتثل بالكلاب . لأنه كما أن الكلاب إذا ضربها أحد بحجر تسرع إلى الحجر وتعضه ولا تلتفت إلى من ضربها . هكذا نحن لا نلتفت إلى الله الذى أرسل لنا هذه الأشياء التى تضايقنا وتميتنا أو سمح لنا بها ... بل نبادر مسرعين إلى الحجر ، أى نتوجه إلى القريب ونجتهد أن نأخذ بالثأر منه .

القديس هيرونا ناوس

❖ مكوى يسوع هو ذاك الذى يهينك ، لأنه إن كان يشتمك إلا أنه يريحك ويخلصك من السبح (المجد) الباطل .

دواء يسوع النقى هو من يرذلك ويوبخك ، لأنه يريحك من الاستنعام ، فإن لم تحتمل شرب الأدوية تظلم نفسك وحدك ، أما الأخ فلم يسبب لك ضرراً ما .

القديس باخوميوس

❖ يمكنك أن تنتفع من عدوك أكثر من صاحبك ، جاعلاً منه كمن ينفعك . لأنه بسببه تتفاضل محبتك عند الله . وبتألمك من أجله يكثر نفعك ، لأنه بذلك تكمل وصية سيدنا فيك .

فان كان عدوك قد آذاك ولم تقدر أن تنتفع منه ، فأعرف ضعفك ، وابحث عن سبب مقدرتك على الانتفاع ، لأنه بماذا يعرف صدقك مع سيدك، إن لم يكن لك شئ يخالف راحتك ، فتبقى انسان ليس له جهاد .

القديس يوحنا التبايسى

❖ لماذا ترك الشهداء فى أيدى الأشرار ؟! لماذا عملوا بهم ما أرادوا ؟ البعض قتلوهم بالسيف والبعض صلبوهم ، والبعض قدموهم للوحوش والبعض أحرقوهم بالنار ، والبعض ساقوهم فى سلاسل ... ؟! يقيناً أن الرب لا يتخلى عن

قديسيه ولا يتركهم فى أيدى الأشرار ... الله لا يترك البار وحده (مز ١٦:١٠) وإن كان قد أسلم لهم الجسد لكن النفس خرجت ظافرة منتصرة .

القديس اغسطينوس

❖ من احتمل عدوه عند شتمه إياه ، فهو قوى وحكيم . وأما من لا يحتمل الشتيمة ، فلن يحتمل الكرامة كذلك ، لأن الشتيمة أقل ضرراً من الكرامة .

الانبا تيموثاوس

❖ حقاً ان انتصار داود على طبيعته الانسانية (التى تميل للانتقام) ، حين سامح شاول أبلغ اقتداراً من غلبته على جليات ذاك الجبار الصنديد ، وهذه الغلبة أشرف لأنها بدون سفك دم ، وهى أمر عجيب ...

لقد خرج داود فى أثر شاول شاكراً الله لا لأنه لم يقطع رأس عدوه فقط، بل لأنه أمات روح الغضب فيه فتخلص شاول من روح الحنق وحطم عدوه (شيطان الانتقام) بحد السيف .

القديس يوحنا ذهبى الفم

❖ إبليس بحيله الخفية يجعلنا نفعل أو ننطق بتجديف على الله ، كما حاول مع أيوب مجرباً إياه ، وقد ضربه بآلام مفرطة وقروح قاسية من رأسه إلى أخمص قدميه ... كما

انطلقت زوجته تقترح عليه أن يجدف على الله بدلاً من تشجيعه أو مواساته ، وذلك لأن ابليس إعتاد بمكره أن يستغل حواء . لكن أيوب فى وسط آلامه وأحزانه كان أكثر حذراً من ادم فى أوج سعادته ! ...

أيوب إذا أحتمل فى جسده الآلام ، وفى قلبه تجديف الآخرين واستهزاءهم به ، أنب زوجته لغبائها ، ولقن أصدقاءه درساً فى الحكمة ، وعلمنا نحن الصبر فى كل زمان .

القديس اغسطينوس

❖ كثيرون يخافون الضيقات ، ولا يخافون أوقات اليسر ، مع أن هذه الفترات الميسرة أكثر خطراً على الروح مما يحدق الجسد من نكبات فى أوقات الضيق .

فإن هذه الخطية (سقوط داود مع بتشبع) ، لم يسقط فيها داود حين كان شاول يضطهده ، حين كان يحتمل عدوه ، وكان متكدراً من مضطهده وهارباً فى بقاع مختلفة لكى لا يقع فى أيديه . إنه لم يسقط فى شهوة زوجة ليست له . ولا قتل زوج ليرتكب الزنا مع زوجته .

فالضيقات مفيدة ، كمشرط الجراح الذى هو أفضل من تجارب الشيطان .

لقد كان داود (نفسه) فى أمان حينما ثار أعداؤه عليه

وتحركت عليه الضيقات ... لذلك يقول « كابدت ضيقاً وحزناً وباسم الرب دعوت » مز ١١٦ : ٣ ، ٤ .

القديس اغسطينوس

مجد الشهداء والمتألمين

❖ اخواتى الأحباء ...

إن شوقكم لسماع حديثى عن الاستشهاد يمنعنى عن التردد فى الحديث عنه ... لكننى فى نفس الوقت أجد ذهنى قد تشتت من فرط انذهاله بمجد الشهداء . هذا الذى حدث لى عندما رغبت فى وصفه . وها قد عجز لسانى عن التعبير عن عظمة هذه الفضيلة .

ولما كان من الخطر اختصار الحديث عجزاً ... لكنه لا يليق بى الصمت ، لهذا وحدت هذا الاعتبار معيناً لى وعذراً إن تجرأت وتحدثت .

لذلك يا أخوتى الأحباء ، إذ تشبعت قواى العقلية بأهمية هذا الموضوع بهذه الكيفية ، وقد وضع على عاتقها اعلان أهمية الاستشهاد ، فانه بنفس القدر طغت عظمة المجد عليها ... مما يعجز تعبيرى عنها .

إن الحديث عن مجد الشهداء يضعفه ويفسده ويشوهه،

لأنه مجد عظيم لا ينطق به ولا يمكن الافصاح عنه بأسلوب حر طليق !!

لكننى وإن كنت لا أخطئ ، فإن هناك قوة ستنطق فى... إذ تدفع مشاعرى التى تفجر كلماتى لتعبر عنه .

❖إنه بالتأكيد يلزمكم أن تأخذوا فى أعتباركم عظمة مجد الاستشهاد. حيث بضربة واحدة شافية ينزع الشر وننال المكافأة.

ومع أنه توجد سبل أخرى كثيرة نصل بها إلى النور ، إلا أنه يمكننا أن نصل بسهولة وبسرعة إلى المكافأة الموعود بها بمساعدة الآلام التى تسقط علينا .

لننظر أى مجد يصاحب تركنا لشهوات هذه الحياة وقمع الفكر عن الانهماك بالطبيعة والعالم ، حتى يتفرغ لمواجهة المضطهدين دون الخوف من قسوتهم ، حتى أنه ينتعش بالعذابات التى يحسبها الآخرون انها ستدمره ، فيجدها فرصة لتقويته تلك التى يظنها المضطهد أنه يحشد له العذابات المؤلمة....

الشهيد كبريانوس (١)

---

(١) هذا النص مأخوذ عن مقالة « مجد الشهداء» التى تنسب لكبريانوس وقد شك البعض فى نسبتها له ، لذلك آثرت عدم ترجمة هذه المقالة ، إلا هذا الجزء . أما بقية مقتطفاته الأخرى التى وردت فى هذا الكتاب فهى ليست عن هذه المقالة ، بل عن مقالات أخرى وعن رسائله.

❖ أشار الروح القدس فأنبأ على فم الحكيم قائلاً « ومع أنهم عوقبوا فى عيون الناس فرجاؤهم مملوء خلوداً . وبعد تأديب يسير لهم ثواب عظيم . لأن الله أمتحنهم فوجدهم أهلاً له ، محصهم كالذهب فى البودقة ، وقبلهم كذبيحة محرقة ، فهم فى وقت افتقادهم يتلألاون... ويدينون الأمم ويتسلطون على الشعوب ويملك ربهم إلى الأبد » حكمه ٣ : ٤-٨ .

وفى نفس السفر أيضاً وصف الانتقام من المضطهدين وندمهم على ذلك ... فيقول « حينئذ يقوم الصديق بجرأة عظيمة فى وجوه الذين ضايقوه وجعلوا أتعابه باطلة . فإذ رأوه يضطربون من شدة الجزع وينذهلون من خلاص لم يكونوا يظنونه . ويقولون فى أنفسهم نادمين وهم ينوحون من ضيق صدورهم ، هذا الذى كنا حيناً نتخذه سخرة ومثلاً للعار ، وكنا نحن الجهال بحسب حياته جنوناً وموته هواناً . فكيف أصبح معدوداً فى بنى الله وحظه بين القديسين . لقد ضللنا عن طريق الحق ولم يضيئ لنا نور البر ولم تشرق علينا الشمس . أعيينا فى سبل الأثم والهلاك وهمنا فى مثاية لا طريق فيها ولم نعلم طريق الرب . ماذا نفعتنا الكبرياء وماذا افادتنا الافتخار بالأموال قد مضى ذلك كله كالظل وكالخبر السائر » حكمة ٥ : ١-٩ .

وفى المزامير أظهر مكافأة المتألمين قائلاً « عزيز فى عينى الرب موت اتقيائه » مز ١١٦:٥ ...وقد أظهر حزن المقاومين وفرحة المتضايقين قائلاً « الذين يزرعون بالدموع يحصدون بالابتهاج سيراً كانوا يسيرون وهم باكون حاملين بذارهم ، ويعودون بالفرح حاملين أغمارهم» مز ١٢٦: ٥ ،٦.

علاوة على ذلك فانه فى الانجيل يعلن الرب نفسه عن انتقامه للمضطهدين ومجازاته للمتألمين قائلاً « طوبى للمطرودين من أجل البر ، لأن لهم ملكوت السموات » مت ٥: ١٠ وأيضاً قوله « طوباكم إذا ابغضكم الناس وإذا افرزوكم وعيروكم واخروجوا اسمكم كشرير من أجل ابن الانسان . أفرحوا فى ذلك اليوم وتهللوا . فهوذا أجركم عظيم فى السماء » لو ٦:٢٢، ٢٣ .

كما قال أيضاً « من أراد أن يخلص نفسه يهلكها . ومن يهلك نفسه من أجلى فهذا يخلصها » لو ٩:٢٤ .

الشهيد كبريانوس

كرامة الشهداء

تحدثنا عن مدى ارتباط أعضاء الكنيسة ببعضها البعض ، سواء بين السالكين فى هذه الحياة أو المنتقلين او الآتين بعدنا ... وإرتباطنا فى شخص الرب يسوع ككنيسة واحدة حية ، جسد واحد للرب يسوع ، كما تحدثنا عن المفهوم الحقيقى للشفاعة كصلوات مساعدة مرفوعة مع صلواتنا فى حب عميق أمام أبينا ، وكذلك كيف الذين جاهدوا إلى النفس الأخير ... هذه جميعها تطرقنا لها عند الحديث عن موضوع الصداقة فى كتاب الحب المقدس(جزء أول ص ٤٧٨-٤٨٤).

والآن نكتفى بترجمة الجزء التالى من رد القديس ايرونيموس (چيروم) على فيجيلانتيوس ، الذى كان يستخف بالشهداء مطالباً بوطئ رفاتهم بالأقدام ، حاسباً أن من يطلب صلواتهم أو يقبل رفاتهم أو يذكر سيرتهم ... إنما من قبيل عبادة الأوثان .

هذا مع اضافة بعض فقرات قليلة للقديس اغسطينوس ، راجياً من الرب أن يسمح بفرصة أخرى للحديث بتوسع عن المفهوم الروحى لشفاعة الشهداء والقديسين .

* * *

❖ مجانين هم أولئك الذين يتعبدون للشهداء ، أولئك الذين حسبوا الانسان هو الله !!

ألم يشق بولس وبرنابا ثوبيهما عندما ظن أهل ليكاؤنية أنهما زفس وهرمس ، هذان الإلهان اللذان كان الإغريق يتعبدون لهما ولم يكونا سوى بشر واراهم التراب منذ زمن بعيد. إنما صنع الرسولان هذا لأجل تفكير الأمم الخاطئ ، الذى دفع بهم إلى تقديم لهما الكرامة التى لا تليق إلا بالله .

ونقرأ عن بطرس ، عند استقبله كرنيليوس وسجد واقعاً على قدميه ، فأقامه قائلاً « قم أنا أيضاً انسان » أع ١٠ : ٢٦ .

أنخطئ نحن إذاً ، إن قمنا بزيارة كنائس الرسل ؟! أو هل أخطأ قسطنين الأول عندما نقل رفات اندراوس ولوقا وتيموثاوس إلى القسطنطينية ؟! وهل أخطأ الامبراطور أركاديوس عندما نقل عظام صموئيل من اليهودية Thrace ؟! وهل كان الأساقفة بخسين وسخفاء عندما كانوا يحملون التراب والرماد ملفوفاً فى الحرائر موضوع فى آوان ذهبية أو هل كانت شعوب الكنائس كلها بلهاء ، عندما كانت تخرج عن بكرة أبيها لملاقاة الرفات المقدسة وسط الفرح والتهليل ، وكأنهم

نظروا نبياً حياً فى وسطهم ، متجمعين معاً كتلاً بشرية ، مرددين بصوت واحد ترنيمة الخروف ؟! ...

انك يا فيجيلانتيوس ، لا تقدر أن تصدق هذا ، لأن تفكيرك لا يتعدى حدود الأجساد الميتة ، وبهذا تجدف .

إقرأ الإنجيل ، فهو يقول « أنا إله إبراهيم وإله اسحق وإله يعقوب ، ليس إله أموات بل إله أحياء» مت ٢٢:٣٢...

انك تقول أن أرواح الرسل والشهداء الساكنة فى حضن ابراهيم فى موضع الفرح ، أو تحت مذبح الله ، فأنهم لا يستطيعون مبارحة قبورهم أو أن يحلوا فى أى مكان ...

إعلم انهم فى مراتب القديسين وليسوا فى سجن قتلة ، بل محفوظين فى حرية وكرامة فى أرض الأبرار .

أتريد أن تقيد الرسل فى سلاسل ، حتى يبقون فى سجن ولا يكونون مع الله ؟! مع أنه مكتوب عنهم «هؤلاء هم الذين يتبعون الخروف حيثما ذهب »رؤ ١٤:٤ ...

إن كانت الشياطين والأبالسة تتجول فى كل العالم ، وتحل فى أى مكان بسرعة عجيبة ، أفيبقى إذاً الشهداء الذين سالت دمائهم بعيداً عن العيون ، مقيدين فى أكفانهم حيث لا يقدرون على الهرب أو الفرار ؟!

انك تقول يا فيجيلانيوس فى مقالك بأنه طالما نحن أحياء،نستطيع أن نصلى بعضنا لأجل بعض ، لكن حالما نموت لا تسمع صلواتنا لأجل الآخرين ، وأيضاً نقول بأن الشهداء يصرخون من أجل الانتقام لدمائهم وطلباتهم لا تستجاب ..

ان كان الرسل والشهداء ، وهم فى الجسد ، يبستطيعون أن يصلوا من أجل الآخرين ، بينما هم لازالوا يجاهدون لأجل أنفسهم ، فكم بالحرى يفعلوا وهم ... غلبوا وانتصروا ؟!

إن انساناً واحداً بمفرده - ألا وهو موسى - نال من الله عفواً عن ستمائة الف رجل مسلح (خر ٣٢ :٣٠) - واسطفانوس تلميذ الرب وأول الشهداء سأل الغفران لأجل راجميه . فهل عندما ينتقل هؤلاء إلى الحياة مع المسيح فى السماء تضعف قوتهم عن ذى قبل ؟!

يقول الرسول بولس ان مائتين وستة وسبعين نفساً وهبت له فى السفينة ، فهل بعدما ينحل جسده ويصير مع المسيح (فى الفردوس) يستد فمه ويعجز عن التكلم من أجل أولئك الذين آمنوا بالانجيل فى العالم كله ؟!

وهل يكون فيجيلانيوس الكلب (لانكاره الايمان) الحى أعظم من بولس الأسد الميت ؟!

الحق يا اخوتى، ان القديسين ليسوا أمواتاً ، بل هم نيام ، لهذا قال يسوع أن لعازر نائم (يو ١١:١١) ولهذا يحذر بولس الرسول التسالونيكيين من الحزن على الراقدين(النائمين) ١ تس ١٣:٤ ...

القديس ايرونيموس

ايقاد الشموع امام صور هم

أما بخصوص الشموع ، فنحن نوقدها ليلاً لنزيل ظلمته ونبقى يقظين حتى الفجر ، لئلا نكون مثلك عميان (يا فيجيلانتيوس) وننام فى الظلمة .

وإن كان هناك قوم جهلاء وبسطاء ، وكان هناك نساء تقيات...هؤلاء يفعلون هذا من أجل تكريم الشهداء (أى عن غير فهم روحى لمعنى الشموع) فإى ضرر ينشأ عن هذا ؟!

ذات مرة تذمر التلاميذ على المرأة من أجل إتلاف الطيب، لكن الرب زجرهم . حقاً ان المسيح ليس بمحتاج إلى الطيب ولا الشهداء إلى اضاءة الشموع ، ومع ذلك سكبت المرأة الطيب إكراماً للسيد ، وقبل الرب الحب المتدفق من قلبها . وكل هؤلاء الذين يوقدون الشموع لهم جزاءهم حسب ايمانهم ، كما يقول الرسول «فليتيقن كل واحد فى عقله»رو١٤:٥ . فهل تدعو هؤلاء عبدة أوثان ؟! اننى لا انكر اننا جميعاً نحن

الذين آمنا بالمسيح قد انتصرنا على عبادة الأوثان . فإننا لم نولد مسيحيين لكننا بالميلاد الجديد صرنا مسيحيين ، فليس لأننا كنا قبلا نعبد الأصنام نخلط بينها وبين عبادة الله(كما تدعى) .

إننا نوقد الشموع فى جميع الكنائس الشرقية وقت قراءة الانجيل، حتى ولو لم يوجد رفات للقديسين أو الشهداء، وفى وقت شروق الشمس، وهذا بالطبع ليس لتبديد الظلمة ولكن *اعلاناً عن فرحنا* . هكذا يقول الانجيل عن العذراى ان مصابيحهن كانت موقدة (مت ٢٥:١) وقيل عن الرسل أيضاً أن أحقاءهم يلزم أن تكون ممنطقة وسرجهم موقدة (لو١٢:٣٥) وقيل عن يوحنا المعمدان أنه « كان هو السراج الموقد المنير » يو٥ : ٣٥ .

وهكذا فى شكل هذا اللهب المحسوس يتمثل النور الذى يقول عنه المرتل « سراج لرجلى كلامك ونور لسبيلى » مز ١١٩:١٠٥ .

ان الأماكن المقدسة قد تحولت بالنسبة لك إلى معابد للفريسيين، مبيضة من الخارج، لكنها من الداخل كلها نتانة..

أتستهزئ ببركات الشهداء وتجدف على كنيسة المسيح منضماً إلى شركة يونروميوس مبتدع هذه الهرطقة ؟!

أما تجزع من شركة أولئك الذين تفوهوا شروراً ضد الكنيسة المقدسة ، حتى أنهم حرموا أنفسهم بأننسهم من شركة الكنيسة المقدسة ، مقدسين كتب يونومبوس فوق الأناجيل حاسبين أن فيه نور الحق ، وذلك كما يدعى أتباع مانى أن مانى هو البارقليط؟!

لا يحق لك اذاً أن تفتخر بأنك تدعى مبتدع لنوع جديد من الشرور فقد سبقك بزمن بعيد غيرك فى هذه البدعة ، وقد تصدى له ترتليان المعلم العظيم الذى كتب مقالة الشهيد الذى اطلق عليه لسعة القرب Scorpiacum »...

فإذ تقولون يلزم أن ندوس رفات الشهداء بأقدامنا إنما بذلك تحتقرون الإستشهاد أيضاً باهانتكم للشهداء ...

أشير عليك أن تزور كنائس الشهداء ... هناك ستجد كثيرين مثلك وسيلتهب قلبك ليس بنار الشموع الموقدة التى لا تقرها ولكن بلهيب نار خفى وحينئذ ستعترف بما تنكره الآن .

القديس ايرونيموس

* * *

شهداء لم يعتمدوا !!

سجل لنا التاريخ سير كثير من المضطهدين أو المتفرجين

الذين لمستهم النعمة الإلهية أثناء إضطهاد أو تعذيب الشهداء، إذ أدركوا صحة ايمانهم من اقبالهم على التعذيب بشغف وفرح مع حبهم لمعذبيهم ... فقدم هؤلاء أيضاً أنفسهم للاستشهاد معلنين ايمانهم بالرب يسوع دون أن تتاح لهم فرصة للعماد . هؤلاء اعتبرتهم الكنيسة قد تعمدوا بالدم .

❖ أى انسان لم يقبل المعمودية ليس له خلاص إلا الشهداء الذين يدخلون الملكوت بدون الماء . لأن المخلص فى تقديمه الخلاص للعالم على الصليب طعن فى جنبه فأفاض منه دم وماء، حتى أن الذين يعيشون فى وقت السلام يلزمهم أن يعتمدوا بالماء ، والذين فى وقت الاضطهاد يعتمدون بدمهم . لأن الاستشهاد نفسه اعتاد الرب أن يدعوه عماداً قائلاً «اتشربان الكأس التى أشربها أنا وتصطبغان (تعتمدان) بالصبغة (المعمودية) التى أصطبغ بها أنا » مر ١٠:٣٨ فالشهداء يعترفون بكونهم صاروا منظراً للعالم للملائكة والناس (١كو ٤:٩) ...

القديس كيرلس الاورشليمى

❖ عماد الماء هو مغفرة الخطيئة ، وعماد الدم هو اكليل الفضائل .

الشهيد كبريانوس

كيف نكرمهم

لقاؤنا معهم فى المسيح

الكنيسة ، عروس المسيح ، لها روح عريسها الذى لا يسر بمن يكرمه بشفتيه وقلبه مبتعد عنه ، إنما يطلب أولا القلب ، وعندئذ يتقبل كل تكريم أو تسبيح أو شكر أو سجود أو إيقاد شمعة الخ...

والكنيسة فى إقامتها عيداً للنيروز ، وأعياداً يومية لتذكار شهدائها وقديسيها . لا تقف عند مجرد التكريم المظهرى كإيقاد الشموع وإقامة الحفلات وتزيين صورهم الخ لكنها تدخل بنا إلى العمق ،أن يكون لنا روحهم فى العبادة .

حقاً إنها تنفذ كلمات عريسها التى رتب تذكاراً للمرأة التى دهنت قدميه بالطيب الكثير الثمن « الحق أقول لكم حيثما يكرز بهذا الانجيل فى كل العالم يخبر ايضاً بما فعلته تذكاراً لها » مت٢٦:١٣ ، وكلمات أمه «هوذا منذ الآن جميع الأجيال تطوبنى» لو١...لكنها تطلب من أبنائها المجاهدين تكريما لإخوتهم المنتصرين ، بإقتدائهم بهم فى شركتهم مع الرب يسوع وحبهم له ، وجهادهم لأجل الإيمان به ، متذكرين كلمات الرسول الطوباوى « أذكروا مرشديكم الذين كلموكم بكلمة الله - انظروا إلى نهاية سيرتهم فتمثلوا بإيمانهم» عب ١٣:٧ .

وليعطنا الرب فرصة أخرى - إن شاء - للحديث بأكثر إسهاب عن صفات هؤلاء الشهداء للاقتداء بهم ... مكتفين الآن بلمحات بسيطة من صفاتهم .

اولاً : حبهم ليسوع

رأينا الإستشهاد ، انه وإن إرتبط كثيراً باحتمال الآلام والعذابات إلى الموت ، لكن قوته تنبع من حبهم للرب يسوع، وموتهم عن العالم ، وارتفاع قلوبهم عن الأرضيات إلى السماويات وهم بعد فى هذا العالم ...

فالحب الذى دفع الشهداء إلى تقديم أجسادهم للموت هو نفسه الذى دفع الشهيد كبريانوس أسقف قرطاجنة إلى الاختفاء فى إحدى فترات الإضطهاد ، ليس جبناً ولا خوفاً على حياته الأرضية ولا هروباً من الموت ، بل بناء على مشورة ترتليان، إذ خشى أن يثور الشعب ضد المضطهدين إن استشهد أسقفهم ، مما يسبب مذبحة هو السبب فيها ...

وأثناسيوس الرسولى أيضاً إقتدى بالشهداء فى حبهم وموتهم عن العالم ، محتملاً آلاماً هذه قدرها محتملاً النفى خمس مرات إذ لم يذق طعم الراحة فى الست وأربعين سنة التى مضت ما بين اليوم الذى أرتقى فيه المنصة البطريركية

والساعة الأخيرة من حياته فى هذه الدنيا[1] . أثناسيوس هذا بدافع الحب هرب من الأريوسيين ، ولما إنتقدوه أجابهم «وكيف لايعلمون أن فراری منهم محبة عليهم» [2] إنه فى حبه ليسوع ، أحب الكنيسة ، فهرب حتى يسند شعبه ضد الهراطقة الأريوسيين .

ويذكر لنا التاريخ عن القديس يحنس القصير أنه هرب من شيهيت إلى جبل القديس أنطونيوس عند هجوم البربر ، ولما سئل أجاب انه لا يخاف الموت ، لكنه لا يقدر أن يرى إنساناً منهم يهلك بسببه !!

فالمسيحى يعيد بعيد النيروز بامتلاء قلبه بمحبة الرب وإنشغال فكره طول النهار والليل به ... فبقدر ما يرتفع قلبه إلى السماويات ويشتاق إلى الإبديات ويهذ فى محبة الرب يكون قد كرم هؤلاء الشهداء !!

ثانياً : اقتناء حكمة الحيات وبساطة الحمام

ربط ربنا يسوع الشهادة بالحكمة والبساطة (مت ١٠ : ١٢) والآن يعرض لنا القديس أغسطينوس فى إحدى عظاته التى ألقاها فى عيد الشهداء هذا الأمر ، نقتطف منها بعض الفقرات :

---

(١) عن كلمات ريتشارد هوكر فى كتابه Exlesiastical Polity .

(٢) Dean Stanly, Lectures on History of Eastern Church .

❖ ها أنا ارسلكم كغنم فى وسط ذئاب . فكونوا حكماء كالحيات وبسطاء كالحمام» مت ١٠:١٦ ...

اذ محصلون على بساطة الحمامة وحكمة الحية ، تكونوا قد بجلتم قداسة الشهداء فى رزانة العقول لا فى الغلالة الجسدية.مرتلين تسبيحاً لله... فإن صارعنا (روحياً) حسناً يكللنا ذاك الذى يكلل هؤلاء الشهداء الذين نقتدى بهم .

❖ إذاً فلتسمع نصيحة ذاك الذى وعد بالاكليل ، بل الذى دبر أولاً المعركة الروحية ، ذاك المشاهد للمناضلين ومعضد لهم فى جهادهم الروحى ، من أى نوع هو ذلك الصراع الذى وصفه ؟!

إنه يقول « فكونوا حكماء كالحيات وبسطاء كالحمام» مت ١٠:١٦ . لذلك يلزمنى يا أحبائى ان أوضح لكم هذا بالرغم من أننى تحدثت عنه كثيراً ، وهو ماذا يقصد ببساطة الحمامة وحكمة الحية ؟ فإن كانت بساطة الحمامة تبهجنا فماذا نفعل بحكمة الحية مع بساطة الحمامة ؟!

هذا ما أحبه فى الحمامة وهو عدم حقدها ، وهذا ما أخافه من الحية وهو سمها . لكن لا تخف منها بالكلية فكما لديها ما تكرهه فيها ، فرنه لديها ما تقلده فيه . إذ عندما يشعر

الثعبان بشيخوخته ، عندما يشعر بثقل السنوات الطويلة يتقلص ويجبر نفسه على الدخول من ثقب ملقياً بجلده العتيق حتى يخرج الى حياة جديدة .

قلده فى هذا أيها المسيحى،إذ تسمع المسيح يقول« أدخلوا من الباب الضيق» مت٧:١٣. ويحدثنا الرسول بولس قائلاً« إذ خلعتم الانسان العتيق مع أعماله ولبستم الجديد »كو ٣:٩... فعندما تتجرد من الانسان العتيق تكون قد قلدت حكمة الثعبان .

قلده فى هذا ايضاً« إحفظ رأسك فى أمان »... أى إحتفظ بالمسيح فيك . أما لاحظتم فى قتلكم لثعبان أنه يحفظ رأسه معرضاً كل جسده لضربات المعتدى ، فهو لا يرغب أن يضرب ذلك الجزء الذى يعلم أن فيه تكمن حياته . ونحن حياتنا هو المسيح ، إذ قال بنفسه « أنا هو الطريق والحق والحياة » يو ١٤:٦. وفى هذا يقول الرسول أيضاً رأس كل رجل هو المسيح » ١كو ١١:١.فمن يحتفظ بالمسيح فيه يحتفظ برأسه لحمايته...

أما الحمام فلاحظ كيف يبتهج عندما يكونون فى جماعة معاً ، فإنهم يطيرون معاً ويأكلون معاً ولا يحبون العزلة .أنهم يبتهجون بالوحدة ويحتفظون بالمحبة . هديرهم ، هم صرخات

المحبة الواضحة ، وبقبلات ينجبون صغارهم . نعم حتى عندما يتنازعون على عششهم ، كما نلاحظ غالباً ، فإنه يكون أشبه بنزاع سلمى. فلا ينقسمون بسبب نزاعهم ، بل يطيرون معاً ويقتاتون معاً ويظل نزاعهم سلمياً .

تأمل نزاع الحمام فيما يقوله الرسول «وإن كان أحد لا يطيع كلامنا بالرسالة فسموا هذا ولا تخالطوه لكى يخجل». أقم المعركة ، لكن يلـزم أن تكون معركة حمام لا معركة ذئاب ، لذلك أردف قائلاً« ولكن لا تحسبوه كعدو بل انذروه كأخ » ٢تس ٣ :١٤ ، ١٥ .

ان الحمامة تحب حتى أثناء النزاع، والذئب يكره حتى ان تلطف .

القديس اغسطينوس

ثالثاً، الشكر فى وسط الطريق

قد يسأل أحد كيف يمكننا أن نحتمل هذه الأشياء بصبر؟ يمكننا ذلك ، إن تيقنا أنه بكلمة شكر واحدة نسترد كل ما فقدناه . لأنه إذا تقبلنا كايوب اخبار التجارب بشكر قائلين « ليكن اسم الرب مباركاً» فاننا نجد غنى عظيماً ...

أقول ، إن تقديم أيوب من خيراته للفقراء لم يكن له ثماره مثلما قدم كلمة شكر فى بلاياه ... القديس يوحنا ذهبى الفم

الاهتمام بالمتألمين

موقف الكنيسة فى فترات الاستشهاد

الكنيسة، فى كل عصور الاضطهاد ، لم تقف يوماً لتحرض أولادها ضد المضطهدين، ولا طالبتهم بالتذمر ، بل على العكس ***كانت تبث فيهم روح الحب للجميع*** وبالأخص بالنسبة للمضطهدين ... وكم من وثنيين صاروا مسيحيين بسبب حب المسيحيين لهم أثناء اضطهادهم إياهم !!

انها تفرح وتسر، بل وتشتاق أن ترى أولادها يشاركون عريسها فى آلامه ، فتشجعهم وتحثهم على قبول الألم بشكر.

هذا هو موقف الكنيسة كأم من جهة أولادها ، لكنها إذ تعلم ضعف بشريتهم تصلى لأجلهم وتدافع عنهم بطريقة مهذبة سلمية .

فالرسل خرجوا فرحين من امام المجمع«لأنهم حسبوا مستأهلين أن يهانوا من أجل اسمه » أع ٥:٤١ . لكن عندما القى بالقبض على بطرس « فكان بطرس محروساً فى السجن. ***واما الكنيسة فكانت تصير منها صلاة بلجاجة الى الله من اجله***»اع ١٢:٥ .

والقديس البابا بطرس خاتم الشهداء ، قدم نفسه

للاستشهاد خفية ، حتى لا يثور الشعب ضد المضطهدين ... انه يتوق للاستشهاد لكنه صلى فى لحظات استشهاد أن يكون خائفاً للشهداء انه يخاف على الضعفاء فى الايمان !!

أما من جهة دفاع الكنيسة عن أولادها . فقد أبدى أمثال يوستينوس الشهيد وغيره ممن كتبوا بافاضة إلى الوثنيين دفاعهم عن المسيحيين، مقدمين هذا الدفاع فى شجاعة للولاة الوثنين ، دون أن يحرضوا الشعب أو يثيروه .

وأما من جهة الإهتمام الروحى والمادى ، فقد إنبرى أمثال القديس أنطونيوس الكبير الذى كان يدخل بين صفوف المعترفين مشجعاً إياهم فى لحظات استشهادهم ، وأمثال الشهيد كبريانوس الذى أرسل عدة رسائل إلى كهنته وشمامسته يحثهم على تشجيع المعترفين وإرسال احتياجاتهم المادية اليهم فى السجون .

ويقول العلامة ترتليان فى رسالته إلى بعض المعترفين الذين فى السجون أن الكنيسة لم تتركهم معوزين شيئاً .

ولضيق المجال نكتفى ببعض الأمثلة التالية الواردة فى كتابات الآباء .

١- ابفرودتس

❖ «لكن قد استوفيت كل شئ واستفضلت . قد امتلأت

إذ قبلت من ابفرودتس الأشياء التى من عندكم» فى ١٨:٤ .

من المحتمل أن ابفرودتس عندما وصل إلى مدينة روما وجد بولس سجيناً وفى ضيقة عظيمة . إذ لم يكن يسمح لأتباعه بزيارته .لكن ابفرودتس بنبله إزدرى بكل الأخطار واهتم كيف يذهب اليه مقدماً اليه كل احتياجاته .

فبولس هنا يعبر عن حقيقتين ، الأولى أن ابفرودتس عرض نفسه للأخطار إذ قارب الموت ، والثانية أن ابفرودتس كان ممثلاً لمدينة فيلبى التى شاركته آلامه ، هذا ليس لأجلى يقول الرسول بولس ***بل لأجل الرب*** .

فلولا عناية الرب لمات ابفرودتس الذى استهان بحياته مقدماً نفسه للآلام لكى ما يخدم بولس ، بل احتمل هذا بالأكثر لأجل انجيل المسيح .

أستطيع أن أقول أن الذين يجرأون على تقديم عمل نبيل للقديسين وهم فى وسط الأخطار ، هولاء تهون عليهم حياتهم إذ تعرضوا للاستشهاد ...

القديس يوحنا ذهبى الفم

٢ - كبريانوس

❖ ...وكأننا نحن محبوسين بينكم ، لأننا بالقلب معكم

نشعر مثلكم بما أنتم مدينون له من الشرف لجودته تعالى . والمحبة التى تجمعنا تجعلنا نفتخر بافتخاركم .

الشهيد كيريانوس

(رسالة الى المعترفين)

❖ أيها الأخوة الاعزاء :

اذكروا أنى نبهتكم برسائل خاصة ، وكررت التنبيه بأن تهتموا الاهتمام كله بمن هم فى السجون وقد « اعترفوا » بالرب اعترافاً شريفاً . وهانذا أعود إلى ما سبق خوفاً من أن يتناقص اهتمامكم ممن لا ينقصم المجد .

ولو كان مركزى (امكانياتى) يسمح لى بهذا الاهتمام ، لما تأخرت عن القيام به بطيب خاطر ، لأن المحبة تقتضى منا هذه الخدمة نحو إخوة بسل !! ولكنى أعتمد على غيرتكم بأن تتوبوا عنى فى هذه المهمة : إعملوا كل ما يجب عمله نحو من أعزهم الله وجملهم بمثل هذه الفضائل من الايمان والقوة . ويبقى أن تعتنوا بأجساد من فارقوا هذه الحياة ، وانتهوا نهاية مجيدة فى السجون ، أو ماتوا بدون تعذيب[1]. فشجاعتهم ليست اقل من شجاعة الشهداء القديسين ، ولا هم

---

(١) هؤلاء الذين ماتوا أثناء القبض عليهم أو فى السجن قبل التعذيب .

دونهم شرفاً . لقد قاسوا ما كانوا عازمين ومستعدين أن يقاسوه . ومن قدم آلامه وموته تحت نظر الله فقد احتمل كل ما أراد من العذاب ، ولم ينقصه إلا الضرب ، لكن لم ينقصه الفوز والظفر . وقد قال الرب « من يعترف بى قدام الناس اعترف به قدتم أبى الذى فى السموات » مت ١٠:٣٢ إذاً ، لقد اعترفوا وصبروا إلى النهاية واحتفظوا بشجاعتهم ناصعة بلا عيب . وجاء فى سفر الرؤيا(٢:١٠) « كن أميناً حتى الموت فأعطيك اكليل الحياة » . فقد بلغوا إلى الموت ثابتين غير مهزومين فى الايمان ، ومتى صح عزم الإرادة ، وتم الاعتراف بالايمان ، والموت فى السجن ، والقيود فى اليدين ، فقد تم مجد الاستشهاد .

هذا ، وقيدوا يوم وفاة هؤلاء الاخوة حتى نستطيع أن نحتفى بهم بين الشهداء يوم نحتفل بتذكارهم ...

الشهيد كبريانوس
رسالة إلى رجال الكهنوت

بركة هؤلاء الشهداء تكون معنا ومعكم .

ولإلهنا المجد الدائم إلى الأبد آمين ،

✣ ✣ ✣

أودع بدار الكتب تحت رقم ٣٦٨٠ لسنة ١٩٧٣

الناشـــر

المراسلات : ص ب ١٧
الابراهيمية - اسكندرية